# التوحيد

## في مسيرة العمل الإسلامي

## بين الواقع والمأمول

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

الحسيني ، عبدالعزيز بن عبدا لله بن ابراهيم

التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول .ـ الرياض .

٠٠٠ ص ؛ ٠٠ سم

ردمك X-٠٤٦-٣٣-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد ٣- الدعوة الإسلامية

أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٨/٠٥١٩

رقم الإيداع : ١٨/٠٥١٩

ردمـك : X-٠٤٦-٣٣-٩٩٦٠

حقوق الطبـع محفوظـة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ

# التوحيد

## في مسيرة العمل الإسلامي

## بين الواقع والمأمول

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور

ناصر بن عبد الكريم العقل


تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الزغيبي الحسيني



دار القاسم للنشر

الرياض : ١١٤٤٢ ـ ص . ب ٦٣٧٣

ت : ٤٧٧٥٣١١ ـ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢

## مقدمة الناشر

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**وبعد ،،**

فإن مما يسر الخاطر ويشرح الفؤاد ما من الله به في هذا الزمن ، من قيام صحوة إسلامية في أنحاء الأرض . . وهذه الصحوة المباركة تحتاج إلى كتب ومجلدات ودراسات ومحاضرات ؛ لرصدها وإثرائها وتوضيح مسارها وإذكاء روحها ومعالجة أخطائها .

وقد كتب الكثير عن هذه الصحوة ، فمنهم من شرَّق مدحاً وثناءً ، ومنهم من غرَّب ذماً وتصنيفاً وملاماً ، وقلَّ من كتب وأنصف . . وشخَّص الداء وأنجع الدواء .

وفي هذا الكتاب حرص المؤلف ـ وفقه الله ـ على استقراء مسيرة الصحوة وتتبع أخطائها وإيضاح الزلات والهفوات التي تعيق مسيرتها بحثاً عن الحق ، من منظور الأخ المشفق الناصح المتمسك بالدليل مع عدم بخس الحقوق .

والكتاب يعتبر إسهاماً جيداً في مراجعة واقع الأمة بشكل جاد وتلمس ما يعترض طريقها ، ثم السبيل إلى لزومها جادة الصواب بعيداً .. عن بيِّنات الطريق .

بارك الله في جهود الجميع وأقر الأعين بنصرة الإسلام والمسلمين .

**الناشـــر**

# تقديم
## فضيلة الشيخ الدكتور
## ناصـر بن عبدالكـريم العقل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

**أما بعـد :**

فإن الأمة اليوم ( وبخاصة الشباب ) أحوج ما تكون إلى النصح والتسديد والنقد الهادف ، المبني على أسس شرعية سليمة .

وحينما قرأت هذا الإنتاج الموسوم بـ ( **التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول** ) لمؤلفه الأستاذ / عبد العزيز بن عبد الله الحُسيني ـ وفقنا الله وإياه ـ وجدته يسهم إسهاماً طيباً في هذا المجال ، ولذا فقد نصحته بطبعه لتعم به الفائدة ، فقد اتسم بحثه بالأصالة والغيرة ومحاولة التزام منهج السلف الصالح والانتصار له ، وتقويم واقع المسلمين اليوم على ضوء ذلك ، حيث بين ـ بوضوح ـ أن مشكلة المسلمين اليوم ؛ تكمن في تخلفهم العقدي، ووقوع أكثرهم تحت طائلة البدع والأهواء والافتراق ، وأن كل ما نراه في المسلمين من تخلف وانحطاط وتشتت ؛ راجع ـ أولاً ـ إلى الانحراف في العقيدة . . . وهذا حق طالما غفل عنه كثير ممن يرفعون لواء الدعوة في العالم الإسلامي .

وقد شخص ـ وفقه الله ـ ناقداً وناصحاً بعض وجوه الانحراف في الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة ، التي تتمثل في الطرق الصوفية ببدعها ودجلها وعبثها بقلوب المسلمين وعقولهم ، حتى صرفتهم عن دينهم

الحق ، وقوضت الركائز العقدية التي تقوم عليها أصول الدين والدنيا .

وتمثل ـ أيضاً ـ كما عرض المؤلف بالجماعات الإسلامية المعاصرة ، التي خالفت نهج السلف في كثير من أصولها وغاياتها ، وقلبت كثيراً من الأمور ؛ حين جعلت الوسائل غايات ، وجهلت ـ أو تجاهلت ـ مناهج السلف في الدعوة والتعامل والنظرة إلىٰ مشكلات الأمة وطرق علاجها .

ولعل من أبرز الأخطاء التي وقع فيها كثير من الجماعات :

قلة العلم الشرعي ، والجفوة مع العلماء ، والجهل بأصول التعامل مع الآخرين من الموافقين والمخالفين ، ولعل مرد ذلك كله ؛ الجهل بمنهج السلف الصالح ، أو تطويعه لخدمة أهداف الجماعات ، وهذا مما يؤكد ضرر الانتماءات الحزبية والشعارات .

أرىٰ أن المؤلف أحسن عرض هذه الأمور وغيرها ، من خلال كتابه ، وتحرىٰ الصواب جهده ، وكان حريصاً علىٰ التزام الدليل ، وتوثيق المعلومات ، والإفادة من آراء الآخرين .

هذا وأسأل الله لي وله ولجميع المسلمين التوفيق والسداد . . . وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كتبـه

**أ . د. ناصر بن عبدالكريم العقل**

رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

# المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

**أما بعد :**

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

اللهمَّ إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٧٠ ـ ٧١ .

اللهمَّ اجعل أعمالنا صالحة ، ولوجهك خالصة ، ولا تجعل لأحد من خلقك فيها حظاً أو نصيباً .

اللهم أرِنَا الحقَّ حقّاً وارزقنا اتباعه ، وأرِنَا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل .

**وبعد :**

يعيش معظم المسلمين ـ اليوم ـ على هامش العالم ، وفي ذيل القائمة ، بعد أن وصلت أوضاعهم ، إلى منتهى التخلف والانحدار ، والذل والهوان ؛ فتداعت عليهم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وغزوهم في عقر دارهم ، واستنزفوا ثرواتهم ، وأصبحت غالب أمورهم بيد أعدائهم ، حتى تحقق فيهم قول الرسول ﷺ :

**« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل : يارسول الله ، فمن قلة يومئذ ؟ قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. »**(١) .

هذا الواقع المهين ، بعد ذلك العز المكين ؛ حارت كثير من العقول في فهمه وتعليله ، وتساءل كثير من الناس عن دواعيه وأسبابه !!

وهذا التساؤل ، طالما تحدث عنه المفكرون ، والكتّاب ، والخطباء ، وعقدت من أجله المؤتمرات ، والندوات ، والمحاضرات ، وخرجوا بتحليلات متباينة مختلفة ؛ لأن كل فريق منهم ينطلق في معالجته لهذا الواقع ، من أفكاره التي يؤمن بها ، ومن تصوراته التي تربى عليها على ضوء مفهوم

---

(١) رواه أبو داود ٤/ ٤٢٩٧ ، وأحمد ٥/ ٢٧٨ عن ثوبان . وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ( ٨٠٣٥ ) ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٥٦ ) .

الجماعة ، أو الحزب الذي ينتمي إليه .

**فحاد كثير منهم عن الطريق الصحيح ؛ لتنكبهم طريق الأنبياء والرسل ، في الدعوة والتغيير ، إلى سلوك طرق ، وسبل معوجة ، لا توصل إلى الهدف المطلوب والقصد المنشود .**

ومنذ أكثر من نصف قرن ، وهذه الجماعات والأحزاب تعمل على الساحة بكل جدّ ونشاط ، وبلا فتور أو ملل ـ ومع أن لهم جهوداً طيبةً مشكورةً ـ إلاّ أن المتأمل لواقع الأمة الإسلامية ، وما آل إليه أمرها من الذل والتخلف في الدين والدنيا ؛ يدرك جيداً وجود خلل واضطراب في المسيرة والنتائج ، وذلك نتيجة ـ حتمية ـ لتنحية منهج أهل السنة والجماعة ، وعزله عن واقع الدعوة ومشكلات الأمة .

**ونحن اليوم نعيش ـ بحمد الله تعالى ـ في صحوة شاملة ، صحوة أنعم الله بها على هذه الأمة** ، وهذه الصحوة ولدت وهي متعطشة لعز الإسلام وتمكينه ، بعد أن جُربت جميع الشعارات الرنانة ، ولم تفرز إلا النكسات المتكررة ، والهزائم المتعددة ، وتكالب الأعداء على هذه الأمة من كل جانب .

وكردة فعل مضاد لهذا الواقع الأليم ، بدأنا نلمس ، ونرى بوضوح مظاهر العودة الجماعية لشباب الأمة إلى هذا الدين .

**وهذه العودة الجماعية ـ المتمثلة بالصحوة الإسلامية ـ إن لم تنضبط بمنهج شرعي واضح فإن جهودها ستتبعثر وطاقاتها ستهدر ، دون أي نتيجة تذكر .**

ولهذا فقد عقدت العزم ـ مستعيناً بالله تعالى ـ على الإسهام ـ قدر الإمكان ـ في إصلاح المسيرة ، وتقويم اعوجاجها ، ترشيداً لهذه الصحوة ،

واستثماراً لطاقات شبابها ، وتوجيهاً لجهودهم ، وتصحيحاً لأفكارهم ؛ من خلال ربطهم بالمنهج الشرعي ، الذي يحصل به التغيير والتمكين ـ إن شاء الله ـ ، لنعيد الثقة لدىٰ كثير من المسلمين ، بالمنهج الصحيح ، الذي تتحقق به السنن الشرعية والنواميس الكونية ، بدلاً من الإنشغال بِبُنيّات الطريق ، عن الدين المحض .

ولبيان أهمية هذا المنهج ، وشدة حاجة المجتمعات الإسلامية إليه ، فلابدّ أولاً من ذكر واقعْ الأمة في عصرها الحاضر ، ومدىٰ ما تعانيه من علل وأمراض متنوعة .

وليس من السهولة ـ كما لايخفىٰ ـ حصر جميع هذه العلل ، فضلاً عن التفصيل فيها ؛ فالأمة قد اعتراها خلل كبير ، وقصور عظيم ، في مجالات كثيرة ، وجوانب عديدة . إلاّ أن الجانب العقدي هو الجانب الأهم والأخطر ، فهو مشكلة المشاكل ، وعلة العلل ، وباضطرابه تضطرب أحوال الأمة كلها .

**ولهذا فإني لا أغالي ، ولاأجاوز الحقيقة ، حينما أؤكد على أن مشكلة المشاكل التي يعاني منها المسلمون اليوم ، لا تخرج عن كونها ـ في الأصل ـ مشكلة عقدية ، وأن كل مظاهر الأمراض التي نراها وصور التخلف التي نعيشها ، لا تخرج عن كونها أعراضاً لمشكلاتنا العقدية .**

ومن أهم هذه المشكلات العقدية التي تعاني منها أمتنا اليوم :

* تخبط كثير من المسلمين واختلافهم حول ( **مصادر الاستدلال** ) وما ترتب علىٰ هذا ، من ظهور الفرق والطوائف المختلفة !!

* انتشار ( **الفكر الإرجائي** )[١] لدىٰ كثير من المسلمين، ولا سيما المفكرين منهم ، حتىٰ أصبح الدين عندهم فكراً بلا عمل !!

* **خطر الرافضة** ؛ علىٰ اختلاف فرقهم وتعدد نحلهم ؛ فهم الذين تولوا كبر شق عصا المسلمين ، وتفريق كلمتهم ، وإضعاف أمرهم ، وزرع الفتن بينهم ، وخداع الجهّال من المسلمين للدخول في **معتقداتهم** ، فهم شرٌ وبلاءٌ علىٰ المسلمين علىٰ امتداد تاريخهم .

* ظهور المشكلات التي استجدت نتيجة التفاعل مع أعداء الأمة في العصر الحديث : **كالإلحاد** ، **والعلمانية** ، **والحداثة** ، **والتبعية** بمختلف ألوانها ، وأشكالها . . .

* **ولعل من أكبر هذه المشكلات ، وأخطرها ، مشكلة ( الفكر الصوفي ) فالأمة لم تصب بمثله ، فهو الخطر الأكبر ، والخلل الأعظم ، الذي ينخر في جسد الأمة من الداخل .**

ولكونه من الصعوبة بمكان ، الحديث عن جميع هذه المشكلات ـ وغيرها الكثير ـ ؛ فسأحصر حديثي في مشكلة واحدة فقط ، وهي مشكلة ( **الفكر الصوفي** ) **نظراً لخطورته ، ولتغلغله المخيف ، وانتشاره الواسع ، في معظم المجتمعات الإسلامية** .وذلك كمثال ـ فحسب ـ لواقع أمتنا من ناحية بعدها عن العقيدة الصحيحة ، ليتأكد لنا ـ وبصورة جلية ـ مدىٰ حاجتها الماسة إلىٰ التوحيد ، وما يترتب علىٰ ذلك من ضرورة صرف الجهود بشتىٰ أنواعها للبدء به أولاً ،

---

(١) وهو ما يعتقده أصحابه من أن الإيمان : تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، ولم يدخلوا العمل في مسمىٰ الإيمان . فالإيمان عندهم متحقق كاملاً لمن نطق بالشهادة ، وصدّق بالرسالة ، ولو بدون عمل !! .

واستفراغ الوسع فيه ( مع عدم إغفال بقية الجوانب الدعوية الأخرىٰ ) علىٰ أن لا تشغلنا عن ذلك الأمر الجلل ، الذي من أجله ، خلق الله الخلق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ؛ الذين تواتروا جميعًا علىٰ البدء به أولاً ، وإعطائه النصيب الأكبر ، والحظ الأوفر ؛ وهو ما ينبغي أن يبدأ به ، كل من سار علىٰ نهجهم ، واقتفىٰ أثرهم ، واتبع هداهم ، **فهو الأساس الذي يُبنى عليه كل إصلاح** .

## مدخل :

### حال العرب قبل الرسالة

كان العرب قبل رسالة الإسلام ، أمة موغلة في التخلف والانحطاط العقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي . .

حتى إن كثيراً منهم كان يرى عبادة الأحجار والأوثان قربة وطاعة . . . وشريعة الغاب أحكاماً وقوانين . . . والسلب والنهب قوة وشجاعة . . . ووأد البنات شرفاً وعفة . . . والسرف المبالغ فيه كرماً ورجولة . . .

يقول جعفر بن أبي طالب وهو يخاطب النجاشي ـ رضي الله عنهما ـ : « أيها الملك ، كنّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منّا الضعيف ، فكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا . . . »(١) .

هذه بعض صفاتهم قبل الرسالة ، وإن شئت أن تقف على منزلتهم عند جيرانهم من العجم ، والنظرة التي كانوا ينظرونها إليهم ، فاقرأ ما يقوله (يزدجرد) عنهم ، حينما قال للوفد الذي أرسله سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ لدعوته قبل وقعة القادسية :

« إنّي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ، ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ

---

(١) انظر : المسند ١/ ٢٠٢ ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وانظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٦/ ٢٩ ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع . وانظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٩٠ .

ذات بين منكم ، وقد كنا نوكل بكم قرىٰ الضواحي ، ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم »[١] .

وبالجملة فقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلىٰ عموم هذا التخلف والانحطاط ، فقال : « ... **إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم** . . »[٢] .

## وحالهم بعدها

ولكن الله تعالىٰ ، امتن علىٰ تلك الأمة بأن بعث فيهم خاتم أنبيائه ورسله محمداً ـ ﷺ ـ فجاء إلىٰ هذه الأمة ، وعندها من الفساد والبعد عن الفطرة ما ذكر . وجاء إليهم ، وهم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ، فبدأ معهم بالتوحيد ومحاربة الشرك ، وأمضىٰ في ذلك ثلاثة عشر عاماً ، يؤصله في نفوسهم ، ويعمقة في قلوبهم .

ولم يبدأ بالفروع والأحكام ؛ وإنما بدأ كما بدأ من قبله من الأنبياء والرسل ، ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[٣] ـ والطاغوت كل ما عبد مع أو من دون الله وهو راض ـ .

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[٤] .

---

(١) الكامل ، ابن الأثير ٢/ ٣١٥ ، وانظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ٧/ ٤٢ .

(٢) جزء من حديث رواه عياض المجاشعي ، انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٩٧ .

(٣) سورة النحل ، آية ٣٦ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

**فبدأ بالتوحيد ، ولم يبدأ بغيره من التكاليف ، لأنه الجذر والأساس الذي يُبنى عليه كل تكليف ..**

**فمن هنا يبدأ التغيير ...**

**وعندما حصلت المقدمات ، أعقبتها النتائج** ، فتغيرت الحال ، وانقلبت الحقائق ، فكسرت الأصنام ، وهدمت الأوثان وصار الدين خالصاً لله ، فتطهرت الجزيرة من الوثنية الدنسة ، وقامت دولة التوحيد ، فخرج أولئك الرجال من جزيرتهم ، يدعون ويفتحون ، فما لبثوا أن ملكوا الدنيا ، ونقلوا الناس من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

كل ذلك في غضون سنوات معدودة ، لتمسكهم بهذه الرسالة ، التي سار عليها النبي الأمي ، لا باجتهاد شخصي منه ـ ﷺ ـ ؛ بل بوحي يوحى ، وبتوجيه من حكيم عليم ، بأن يبدأ بالأولويات التي فيها ظهور الإسلام وقيامه .

وعندما روعيت الأولويات المهمات ؛ ظهرت النتائج المذهله ، فنقلهم بهذه الرسالة ، من رعاة للإبل والغنم ، إلى ساسة لأرقى الأمم ، وتحقق وعد الله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ..** ﴾ (١) .

فحصل التمكين والاستخلاف ، وقامت دولة الإسلام ، ثم فتح الله عليهم البلاد ، وأدان لهم العباد ، بعد تحقق الشرط : ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ .

---

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

# واقع الأمة من ناحية بُعدها
# عن العقيدة
# وحاجاتها الماسة إلى التوحيد

## بداية الانحطاط وواقع الأمة اليوم

ومع مرور الزمن ، بدأ هذا الشرط يخبو رويداً رويداً . ومع توالي القرون بدأ الجهل يدبّ إلى قلوب كثير من المسلمين ، فبدأت تظهر بعض مظاهر الجاهلية الأولى ، حتى استحكم أكثرها ، لا أقول في بعض بلدان المسلمين ؛ بل في معظمها .

وحينما فسدت العقيدة ، وفُرّغت كلمة التوحيد من محتواها ؛ أصيب المسلمون بالضعف والوهن ، والتخلف والخضوع . . . وأصبحوا يسيرون من ضعف إلى ضعف ، ومن جهل إلى جهل .

حتى أصبح المسلم الموحد العالم بالسنة ، في كثير من أقطار المسلمين ، غريباً ، مقهوراً عند بني قومه ، كما خرَّج الطبراني وغيره من حديث أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « **إن لكل شيء إقبالاً وإدباراً ، وإن من إقبال هذا الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وما بعثني الله به ، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها ، حتى لايوجد فيها إلا الفاسق ، والفاسقان ، فهما مقهوران ، ذليلان ، إن تكلما قمعا ، وقهرا ، واضطهدا . وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يُرى إلا الفقيه والفقيهان ، فهما مقهوران ذليلان ، إن تكلما فأمرا بالمعروف ، ونهيا عن المنكر قمعا ، وقهرا ، واضطهدا ، فهما مقهوران ، ذليلان ، لايجدان على ذلك أعوانًا ولا أنصارًا** »(١) .

ويُعلق العلاّمة محمد صديق حسن ـ رحمه الله ( ت ١٣٠٧ هـ ) ـ على

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٢٣٤ برقم ( ٧٨٠٧ ) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ٤٢ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨ .

هذا الحديث فيقول : « وقد وقع كل ذلك ، وصدق رسول الله ﷺ فقد طفت من أقصى المغرب ، ومن أقصى السودان ، إلى الحرمين الشريفين ـ زاد الله شرفهما ـ فلم ألق أحداً يسأل عن نازلة فيرجع إلى كتاب ربّ العالمين ، وسنة سيد المرسلين ، وآثار الصحابة والتابعين ، إلا ثلاث [١] رجال ، كل واحد منهم كان مقموعًا محسوداً ، يبغضه جميع من في بلده من المتفقهين ، والظّانين ، وغالب من فيه العوام ، والمتسمون بسيم الصالحين . وموجب العداوة بهم والحسد معهم ؛ هو تمسكهم بالكتاب والسنة » [٢] .

**قلت** : ولاتزال هذه العداوة قائمة إلى يومنا الحاضر ، في معظم أقطار المسلمين ؛ مع كل متمسك بالكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين ، فهم غرباء عند بني قومهم ، فإن تكلموا قمعوا ورموا بالوهابية واضطهدوا ، فهم مقهورون ذليلون ، لا يجدون على الحق أعواناً ولا أنصاراً ـ إلا من رحمه الله وقليل ماهم ـ ، حتى صدق فيهم قول سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : «**إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة ، وآخر بالمغرب ، فابعث إليهما السلام ، وادع لهما . ما أقل أهل السنة والجماعة** » [٣] .

وهذا مصداق لقول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « **يأتي على الناس زمان يكون فيه المؤمن أذل من الأمة** » [٤] .

ويوضح الإمام ابن رجب ذلك فيقول : « وإنما ذلّ المؤمن آخر الزمان ،

---

(١) كذا في الأصل والصواب ثلاثة .

(٢) الدين الخالص ، محمد صديق حسن : ٣/ ٢٨٢ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، اللالكائي : ١/ ٧١ـ٧٢ .

(٤) كشف الكربة في وصف أهل الغربة ، ابن رجب : ص ٣٤ .

لغربته بين أهل الفساد ، من أهل الشبهات والشهوات ، فكلهم يكرهه ويؤذيه ، لمخالفة طريقته لطريقتهم ، ومقصوده لمقصودهم ، ومباينته لما هم عليه »(١) .

وهؤلاء الغرباء تنبأ الرسول ﷺ بغربتهم فبشّرهم بقوله : « **طوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : أناس صالحون في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم** »(٢) .

وأكثر الناس اليوم على غير هذه الصفة « فأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء ، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً ، فلا غربة عليهم ، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾(٣) .

فأولئك هم الغرباء من الله ودينه ، وغربتهم هي الغربة الموحشة ، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم »(٤) .

**ومن صفات هؤلاء الغرباء** : « التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد ، وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله . بل هؤلاء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد : ٢/ ١٧٧ . وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨١٦) ، وانظر : السلسة برقم ( ١٦١٩ ) .

(٣) سورة الأنعام آية : ١١٦ .

(٤) تهذيب مدارج السالكين ، عبد المنعم العزي : ص ٥٧٨ .

الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده .

وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًا وأكثر الناس ـ بل كلهم ـ لائم لهم . فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهل شذوذ ، وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم » !! (١) .

وهذه الغربة إنما هي مظهر من مظاهر الخلل العقدي الكبير الذي تعيشه أمتنا وباضطرابه حصل اختلال عظيم ، وتخلف جسيم ، في المجالات السياسية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية . **فالأمة يتحول عملها كله بتحول عقيدتها .**

قال تعالى : ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا**

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧٩ .

(٢) سورة الجن ، آية : ١٦ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٦٦ .

رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ [أي بشرك] أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ « من تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض ؛ فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ .

وكل شر وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك ؛ فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله » (٣) .

**وعليه ، فلا شيء أخطر ولا أكبر من الفتنة في ( العقيدة ) إذا عمت ، فهي أعظم فتنة يمكن أن تصاب بها أمة ـ أي أمة ـ لأنه بتأثرها سيتأثر ما بعدها لزامًا .**

وأمتنا اليوم ، لاتعاني من شيء كمعاناتها من تغلغل هذه الفتنة في كثير من مجتمعاتها ، فلا يكاد يوجد بلد من بلدان العالم الإسلامي ـ عدا أجزاء من الجزيرة ـ إلا والأوثان فيه تضرب أطنابها من خلال القبور وعبّادها ، العاكفين حولها والداعين لها من دون الله تعالى .

وما هذا الشرك الظاهر الواسع الانتشار ، إلاّ إفراز من إفرازات (الفكر الصوفي ) الذي يقوم على هذه الشركيات ، ويرعاها ، ويغذيها . هذا الفكر الذي « تلبس للمسلمين برداء الطهر ، والعفة ، والزهد ، والإخلاص ،

---

(١) سورة النحل ، آية : ١١٢ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٨٢ .

(٣) التفسير الكبير ، ابن تيمية ٤/ ٣٠٩ .

وأبطن كل أنواع العهر ، والمروق ، والزندقة »[١] .

**وخطورة هذا الفكر تكمن في كون مشكلته ، مشكلة عقدية ، والمشكلات العقدية هي أخطر ما تقابله الأمة ، وما المشكلات السياسية والاقتصادية والأخلاقية ... إلا نتيجة لهذا الخلل العقدي الكبير .**

وقد لا يتصور بعض طلبة العلم فداحة الأمر ، وشدة تفشي هذه الشركيات والخرافات الصوفية ؛ نظراً لكونه يعيش بين أناس هم ـ بحمد الله تعالىٰ ـ علىٰ عقيدة التوحيد ، وتقل بينهم البدع والشركيات .

وبما أن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره ؛ فإليك أخي عرضاً موجزاً عن الصوفية ، ومظاهرها الشركية ، التي تعج بها معظم أقطار المسلمين ، وذلك كمثال ـ فحسب ـ لنلقي نظرة إلىٰ واقع أمتنا من الداخل ، ليتبين لنا ، مدىٰ حاجتها الماسة ، إلىٰ ضرورة تركيز الجهود الدعوية بشتىٰ أنواعها ، للبدء بالتوحيد أولاً ، واستفراغ الوسع فيه ، فهو الأساس الذي يُبنىٰ عليه كل إصلاح .

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٨ .

## لمحة موجزة عن الصوفية وخطورتها

**الصوفية :**

حركة دينية ، انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات ، وازدياد الترف ، وقد مرت هذه الحركة بعدة مراحل ، فقد كانت في بدايتها ردة فعل مضاد للانغماس المادي ، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور فيما بعد وشطح بهم ، نتيجة للاحتكاك بالثقافات الوافدة ، كاليونانية ، والفارسية ، والنصرانية ، والبوذية ، وغيرها . . . حتى أفرز مزيج هذه الثقافات المختلفة هذا الفكر الصوفي الذي نراه اليوم ونسمعه .

ونظراً لكون الصوفية ، أصحاب مواجيد متنوعة ، وأذواق مختلفة ، فقد عبّر كل منهم عن التصوف بما يناسب ذوقة ويوافق وجده ، ولهذا فقد «اختلف منتحلوه في وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحواً من ألفي تعريف ، كلها حدود ورسوم لا واقع لها في الخارج »[١] .

ولعلّ من أفضل التعاريف لها ـ فيما أراه ـ حسب واقعه اليوم وما جر على المسلمين من البلايا والمحن ، ما ذكره الأستاذ محمد شقفه بأنه :

« **طريقة زهدية في التربية النفسية تعتمد على جملة من العقائد الغيبية ، مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل** »[٢] .

ويعرّفه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري بأنه :

---

(١) إلى التصوف ياعباد الله ، أبو بكر جابر الجزائري ، ص ٧ .

(٢) التصوف بين الحق والخلق ، محمد فهر شقفه ، ص ٧ .

**« أسلوب من الاحتيال والنصب والتدجيل ، يبتدئ بذكر الله ، وينتهي بالكفر به ـ والعياذ بالله تعالى ـ ، أوّله اتباع ، وآخره ابتداع ، ظاهره التقوى والطهر ، وباطنه الفجور والعهر »** (١) .

والمشكلة الكبرى ، أن الصوفية ـ في هذا القرن والذي قبله ـ استطاعت أن تفرض سيطرتها على معظم العالم الإسلامي ، فوقع جمهور المسلمين في أسرها ، وعَظُم سلطانها ، وبلغ مبلغاً عظيماً ، ولو لم يكن من قوتها ونفوذها إلاّ هيمنتها على الجماهير في طول البلاد وعرضها ، لكفى (٢) .

وهنا تكمن خطورة الصوفية ، وأثرها السلبي الواضح في تربية الأجيال المسلمة المتعاقبة . وإدراكًا من المستشرقين ـ أعداء الدين ـ لخطورة هذا الفكر ، وأثره في استمرار تخلف هذه الأمة وبعدها عن الدين ؛ فإن المتتبع لدوائر الاستشراق العالمية ، يلحظ أن معظم أعمال المستشرقين ، منصبّة إلى الاهتمام بالفكر الصوفي ، وإخراج مؤلفاته ، وطبعها ، ونشرها ، والتعليق عليها ، وترجمتها إلى لغات عدة ، على أنها دين الإسلام !!

فلماذا هذا الاهتمام بالفكر الصوفي ؛ إن لم يكن لتشويه صورة الإسلام في نظر غيرهم . . . وليستمر الضالون المغرر بهم على ضلالهم (٣) .

---

(١) إلى التصوف ياعباد الله ، أبو بكر الجزائري ، ص ٨ .

(٢) انظر : الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، علي بن بخيت الزهراني ، ص ٤٤٦ .

(٣) انظر : الصوفية ، نشأتها وتطورها ، محمد العبده ، وطارق عبد الحليم ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

## تلبيس إبليس على الصوفية في صحة معتقدهم

ولذا فالصوفية ـ **بهذه المعاني** ـ ، دين مستقل لا علاقة له بالإسلام ، وإن كان مشايخ الطرق يزعمون ـ زوراً وبهتاناً ـ أنهم من المسلمين ؛ بل ويعدون أنفسهم المسلمين ، ومن عداهم خارجون عن الإسلام ، وبالذات ممن ينتسب إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، ولذافهم يعرّفون الصوفية بتعريفات ملؤُها الكذب والتزييف ، الذي به يستميلون الجهلة من الناس ، ويزينون لهم حقيقة دعوتهم ، وأنها مطابقة للسنة ، وعلى طريقة الصحابة رضي الله عنهم .

فيعرفها شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر ، محمود السطوحي بأنها :

« خلاصة العمل بالإسلام ، العمل بالكتاب والسنة ، والجهاد ضد العدو ، وضد النفس »[١] !!

بل إن علماء الصوفية يرون أن « عموم الصحابة ، والتابعين وتابعيهم ـ رضوان الله عليهم ـ هم طليعة الصوفية ، لقوله ﷺ : « **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » ، فقد أقبلوا على الله زهداً ، وجهاداً ، ولم يلقبوا بالصوفية لأن الصحبة والتبعية أزكى وأشرف لهم »[٢] !!

ويستمرّ التزوير والتضليل ، فيقول محمد أحمد خير ـ أحد منظري

---

(١) السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، موفق بني المرجه ، ص ١٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧ .

الطريقة الميرغنيه ـ :

« من مآسي الوهابية أنهم أشغلوا الصوفية عن دورهم الأساسي ، وهو نشر العلم والدعوة إليه [ هكذا ] ، فعمت المشاكل بين الوهابية ، والصوفية في السودان ، وزائير ، وجيبوتي ، وتنزانيا ، وغيرها . فأضعفوا من عمل الصوفية ، في مواجهة المد الصليبي ، ولم يستطيعوا هم القيام بدور الصوفية في الدعوة إلى الله »[1] !!

وقد يستغرب المسلم ، إذ كيف يزعم أصحاب تلك الطرق الشركية الانتساب إلى الإسلام ، وكيف يصفون طرقهم بأنها موافقة لما جاء في الكتاب والسنة ، وأنهم لأثر الصحابة والتابعين مقتفون !

وكيف يزعمون بأن الصوفية هي طليعة البعث الإسلامي ، وأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ أشغلت الصوفية عن دورها الأساس في نشر العلم والدعوة إليه !!

غير أن هذا الاستغراب ، سيزول بمجرد العلم بأنّ هذا التضليل ، ما هو إلا أسلوب من أساليب نشر دعوتهم واستقطاب العامة والدهماء من الناس ـ وما أكثرهم ـ ليلبسوا عليهم ، ويوهموهم بصحة معتقداتهم المنحرفة ، وأفكارهم الباطلة .

---

(١) الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ، محمد أحمد خير ، ص ١٢٤ .

## دور الصوفية في إفساد عقائد كثير من المسلمين

إن خطورة ( الفكر الصوفي ) لاتكمن في كونه انحرافًا عقديًا ـ فحسب ـ وإنما خطورته تكمن في تغلغله المخيف ، وانتشاره الواسع ، في كثير من مجتمعات المسلمين ، وبدخوله حصل اختلال عظيم واضطراب جسيم ، في معظم عقائد المسلمين وأفكارهم وتصوراتهم ، حتى أصبح الدين في نظر السواد الأعظم من المسلمين هو ما عليه المتصوفة اليوم .

وبالمثال يتضح المقال ، فإليك شيئًا من ذلك على سبيل الإجمال :

* لا يخفى أن **العقيدة الإسلامية تؤكد** : أن الله ـ جلّت قدرته ـ هو خالق المخلوقات من العدم ، لا من ذاته سبحانه ، وأن المخلوقات غير الخالق . وبهذا نزل القرآن الكريم ، وبينته السنة النبوية .

**وجاءت الصوفية ...**

فحولت أتباعها من هذه العقيدة الإسلامية إلى عقيدة وثنية ، هي وحدة الوجود ، التي تؤمن أن الله هو الكون ، وأن الكون والمخلوقات هي تعينات من ذاته سبحانه !! .

* **وتؤكد العقيدة الإسلامية** : على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق السماوات مستو على العرش ، وذلك بنصوص ـ لا تخفى ـ من القرآن والسنة .

**وجاءت الصوفية ...**

فحولت أتباعها إلى عقيدة وثنية تؤمن أن كلَّ ما نراه وما نحسه هو الله ،

أو هو جزء منه ـ سبحانه وتعالى عما يشركون ـ ، ومن تأويلهم لهذه العقيدة قولهم المنتشر على ألسنتهم : ( إن الله في كل مكان ) ، وقولهم بتكفير من يقول بالجهة ، ويعنون بالجهة ( العلو ) !!

* **وتقرر العقيدة الإسلامية** : أن النبوّة فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

**وجاءت الصوفية ...**

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية : أن النبوة نتيجة لممارسة الرياضة الإشراقية ، حتى قال ابن سبعين : لقد ضيَّق ابن آمنة واسعًا عندما قال : لا نبي بعدي !!

* **وتقرر العقيدة الإسلامية** : أن محمداً ، ومثله جميع الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ هم بشر مثل سائر البشر ، ولكن الله اصطفاهم ، وفضلهم عندما اختارهم ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته .

**وجاءت الصوفية ...**

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية . تجعل محمداً ﷺ المُجلّي الأعظم للذات الإلهية ، منه تنبثق المخلوقات ، وتعود إليه في حركة مستمرة ( النور المحمدي ) ، وأطلقت عليه أسماء وصفات ، هي من أسماء الله سبحانه وصفاته !!

* **وللعقيدة الإسلامية في الإسلام** : مصدران فقط ، لا ثالث لهما : القرآن ، والسنة .

**وجاءت الصوفية ...**

فجعلت للعقائد ، مصدراً ثالثًا ، هو الكشف والفيض ، وجعلوهما ـ عمليًا ـ المصدر الأساس للعقائد ، وأنكروا ذلك نظريًا . أما القرآن والسنة ، فما وافق الكشف قرروه ، وما خالفه أولوه ، ليتفق مع الكشف !! وقد صرح بذلك حجتهم الغزالي في كتابه : ( إحياء علوم الدين ) [١] وكلهم بدون استثناء يقدسون الغزالي و ( إحياءه ) ، وهذا الكتاب وغيره الكثير من كتب الصوفية المنحرفة ، تدرّس في معظم مساجد المسلمين وينشأ عليها كثير من شباب المسلمين ، حتى صاروا يعتقدون أنها قمة الإسلام ، وقمة العلم ، وقمة التقوى ، وسبيل النجاة ، بينما هي ـ في الحقيقة ـ فيها الكثير من الخرافة التي جاء الإسلام ليحاربها ويهدمها .

* **والعقيدة الإسلامية جاءت** : لتحارب الشرك والأوثان ، كعبادة الشيوخ والأولياء ، والاستغاثة بالقبور والأموات ، وتقديس الأضرحة ، والعتبات ، والقبب ، وسائر أنواع الشرك .

**وجاءت الصوفية ...**

فجعلت هذه الأضرحة وما شابهها ، عبادات يتقربون بها إلى الله[٢] !!

* **والعقيدة الإسلامية قررت** : أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ﴿ **قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [٣]

**وجاءت الصوفية ...**

---

(١) انظر ـ مثلاً ـ : ١ / ٣١ . ٣ / ٢١ . ٣ / ٢٥ .

(٢) انظر : الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود القاسم ، ص ٨١٨ ـ ٨٢٢ .

(٣) سورة النمل ، آية : ٦٥ .

فأوحت لأتباعها ، أن مشايخ الطرق يعلمون الغيب ، عن طريق ( الكشف ) ، وأنهم ورثوا مفاتيح الغيب من محمد ﷺ ، وهذه العقيدة مبثوثة في كتبهم ، وهي أشهر من أن تذكر .

وغير ذلك الكثير ، مما لا أستطيع جمعه في مثل هذا البحث الوجيز . هذا بالنسبة للتوحيد والعقيدة ، أما بالنسبة للعبادات ـ فحدث ولا حرج ـ فقد أقحموا بها من بدع الأعمال والأقوال ، مايحتاج إلى مجلدات ضخمة .

**وبالجملة فإن منهج الفكر الصوفي قائم على الأصول التالية :**

* تقسيم الدين إلى ظاهر يعلمه العوام ، وباطن لايعلمه إلاّ الخواص[1] .

* الاعتماد على الكشف والذوق في الأمور العقدية والتعبدية ، واعتبارهما مصدراً من مصادر التشريع .

* تسويغ وتبرير الشركيات ، والانتصار لها .

* الاعتقاد بالحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود .

* تصحيح الأحاديث بالكشف .

* العمل بالمنامات والرؤى .

* التعبد بالذوق والوجد .

* نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة والعمل بها .

---

(١) وبهذا يخرج غلاة المتصوفة من تهمة رميهم بالتكفير والزندقة ، والكذب والهرطقة ، فيوهمون أتباعهم بأن أقوالهم وأفعالهم الشركية ، المنافية للعقل والذوق ؛ إنما هي تأويل للعلم الباطن ، الذي هو سر من الله تعالى لأوليائه !!

* التقيد بالذكر البدعي والرقص والسماع المحرم بالمعازف[١]، حتى أن أبا حامد الغزالي ، ذكر باباً كاملاً في كتابه ( إحياء علوم الدين ! ) انتصر فيه للسماع والرقص والوجد ، ووضع له الآداب والمقامات ، وقرر فيه « أن الغناء أشد تهيجاً من القرآن من سبعة أوجه »[٢] !!

وبعد أن ساق تلك الأوجه السبعة التي أكد فيها « أن الانبساط بسماع القصائد أولى من الانبساط بكلام الله تعالى »[٣] !! عقّب على ذلك كله فقال « . . . فإذاً القلوب وإن كانت محترقةً في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع .

ولكونه مشاكلاً للطبع ؛ اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه ، وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه »[٤] !!!

---

(١) انظر : ما أنا عليه وأصحابي ، أحمد سلام ، ص ٣٥ .
(٢) الإحياء . . . ٢/ ٣٢٥ـ٣٢٨ .
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٢٧ .
(٤) المرجع السابق ٢/ ٣٢٨ .

## نماذج من كرامات ومكاشفات الصوفية المزعومة

إن من أكثر الأمور التي يتفاخر بها الصوفية، ويتناقلونها في مجالسهم، ومنتدياتهم، قديمًا وحديثًا، موضوع الأولياء والكرامات التي تحصل لأوليائهم، وسنذكر شيئًا من ذلك كنماذج وأمثلة لكبار أوليائهم المزعومين. وهذه الكرامات لم ينكرها أحد من المتصوفة، حتى يومنا هذا، لأنها مستقاة من كتب الثقات عندهم كإمامهم الشعراني، ومؤرخهم النبهاني، وحجتهم الغزالي، وغيرهم.

فهم يوردونها دون أي تعليق عليها، لاعتقادهم بصحتها، بل إنهم يترضون عنهم ويسوقونها على أنها كرامات اختص الله تعالى بها الأولياء، فهم « يعتقدون أن من اتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء خضع له الكون وقوانينه، وجرى على يديه خَرْق العادات بما يسمى الكرامات، مقابل ماكان للأنبياء من معجزات . . . ومحبة الله ـ عندهم ـ هي كل شيء، والسيئات معها تهون، وهذا ماجعلهم يحلون لأنفسهم كل ممنوع، فاجترحوا اللذات ووقعوا في الموبقات »(١).

**والعجب ـ ولاعجب في الصوفية ـ أن هذه الكرامات المزعومة، لاتنطلي على السّذج فحسب، بل على « أساتذة في الجامعات، أساتذة في الطب، والفيزياء، والكيمياء، تكون عقولهم سليمة عند البحث العلمي، وتمسخ عند الحديث عن الولي الفلاني »**(٢) وقبل أن أعرض شيئاً من تلك الخزعبلات والخرافات التي

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية، ١٥/ ٢٠٣.

(٢) الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبده وطارق عبدالحليم، ص ٧٦، نقلاً عن كتاب (ثقافتنا) لزكي نجيب ص ٧٢.

يسمونها كرامات ، آمل أن تعذرني ـ أخي الكريم ـ حينما أذكر بعض النماذج التي يذوب المرء معها حياءً وخجلاً ، وإنما أنقلها من كتب القوم ومصنفاتهم المعتمدة ؛ لتقف على بعض اعتقاداتهم ومدى ماوصلت إليه عقولهم . ومن ذلك ـ مثلاً ـ مايذكره الشعراني في طبقاته ـ التي تعتبر أصلاً من أصول كتبهم ـ في معرض ذكره لأحد أوليائهم ، فيقول :

« . . **ومنهم أبو محمد عبدالرحيم المغربي القناوي** ـ رضى الله عنه ـ [١] ، وهو من أجلاّء مشايخ مصر المشهورين ، وعظماء العارفين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأنفاس الصادقة ، حكي أنه نزل يومًا في حلقة الشيخ شبحٌ من الجو ، لا يدري الحاضرون ماهو ، فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء . فسألوا : فقال : هذا مَلَك ، وقعت منه هفوة ، فسقط علينا يستشفع بنا ، فقبل الله شفاعتنا فيه ، فارتفع . . . !!!

ومرّ عليه كلب ، فقام له إجلالاً !! ، فقيل له في ذلك ، فقال : رأيت في عنقه خيطًا أزرق من زي الفقراء » [٢] !!

**وقال أيضًا :**

* «**ومنهم الشيخ إبراهيم العريان** رضي الله تعالى عنه ورحمه ، وكان رضي الله تعالى عنه ، يطلع المنبر ويخطبهم عريانًا ، فيقول : السطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم . وكان يُخرج الريح ، بحضرة الأكابر ثم يقول :

---

(١) كذا في الأصل !!! وهم يترضون عنهم بمثل هذه العبارات الإضفاء هالة من التقديس على شيوخهم وأوليائهم .

(٢) الطبقات الكبري ، عبد الوهاب الشعراني : ١/ ١٥٧ .

هذه ( ضرطة ) فلان ، ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه »[١] !!

**وقال أيضًا :**

* « **ومنهم عبدالله بن عون** رضي الله تعالى عنه كان يخلو في بيته صامتًا متفكرًا وما دخل حمامًا قط »[٢] !!

**وقال أيضًا :**

* « **ومنهم الشيخ حسين أبو علي** رضي الله عنه ورحمه ، كان هذا الشيخ ـ رضي الله عنه ـ من كُمّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى ، وكان كثير التطورات ، تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ، ثم تدخل فتجده سبعًا ، ثم تدخل فتجده فيلاً ثم تدخل فتجده صبيًا ، وهكذا ، فمكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ، ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء !!

. . .

وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه ( وهو الذي مدفون عنده الآن ) مثقوب اللسان ، لكثرة ما ينطق به من الكلمات التي لاتأويل لها ، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحلت ، فلم يستطع أحد أن يزحزحها ، فقال الشيخ عبيد : اربطوها في بيضتي [أي في خصيتيه] بحبل ، وأنا أنزل أسحبها ، ففعلوا ، فسحبها ببيضتيه حتى تخلصت من الوحل »[٣] !!

---

(١) المرجع السابق : ٢/ ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ٦٤ .

(٣) المرجع السابق : ٢/ ٨٧ .

**قال أيضًا :**

« وقال الشيخ شرف الدين أبو بكر بن عبدالمحسن : كنّا مع **السيد أحمد الصيادي** ، قدُس سره ، وكنا كلما مررنا على نهر ماء ، استقبله السمك من النهر إلى الشاطئ وازدحم على قدميه ، وكذلك الدوابّ ، والهوامّ ، والغزلان ، في البر الأقفر ، حتى إن الحيوانات التي نراها تقف له على حافتي الطريق !! . .

ومات أحد إخوانه فجأة ، فجاءت إليه أم الميت ، وهو ساجد في صلاة الضحى فتأخر سجوده ، فقالت : وحقك !! لو بقيت إلى يوم القيامة ساجداً لما تركتك إلا بولدي !! فرفع رأسه الشريف باكيًا ، وإذا بالمريد قد قام حيًا !! فسجد شكراً لله على نعمته التي أنعمها عليه .

وذكر المناوي : أنه سجد سجدة واحدة ، فامتدّ سجوده سنة كاملة ، مارفع رأسه حتى نبت العشب على ظهره »[1] !!

ويتحدث محمد عثمان البرهاني في كتابه : ( تبرئة الذمة في نصح الأمة ) !! عن « مناقب **السيد البدوي** فيقول : أنه دعا الله بثلاث دعوات ، فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة ؛ دعا الله أن يشفّعه في كل من زار قبره ، فأجاب الله ذلك ، ودعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره ، فأجاب الله ذلك ، ودعا الله أن يدخله النار ، فرفض الله ذلك .

فسألوا السيد البدوي : لماذا رفض الله أن يدخلك النار ؟ قال : لأني لو

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود القاسم ، ص ٥٢٣ ، نقلاً عن كتاب قلادة الجواهر ص ٣٤٠ .

دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشًا أخضر ، وحقٌّ على الله أن يعذّب بها الكافرين » (١) !!

ويقول أحد الصوفية الأقطاب : « لولا الحياء من الله لبصقت على ناره ، فانقلبت جنة » (٢) !!

ومن كراماتهم المزعومة ـ أيضاً ـ ما يذكره الشعراني عن أحد أوليائهم فيقول : « . . . وكان **الشيخ علي وحيش** ـ رضي الله عنه ـ يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا ، وكان كل من خرج [ أي بعد اقتراف الفاحشة ] يقول له : قف حتى أشفع فيك عند الله ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه .

وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ، ينزله من على ( الحماره ) ويقول له : امسك رأسها لي حتى أفعل فيها ، فإن أبى شيخ البلد ، تسمر في الأرض لايستطيع أن يمشي خطوة ، وإن سمح ، حصل له خجل عظيم ، والناس يمرون عليه » (٣) !!

ويتحدث الشعراني عن سيده « **يوسف العجمي الكوراني** ـ رضي الله عنه ـ أنه خرج يوماً من خلوة الأربعين ، فوقع بصره على كلب ، فانقادت له جميع الكلاب وصار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه ، فلما مات أظهروا له البكاء والعويل ، وألهم الله تعالى بعض الناس ، فدفنوه ، فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا . فهذه نظرة إلى كلب ، فعلت

---

(١) الصوفية الوجه الآخر ، د. جميل غازي ، ص ٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) الطبقات الكبرى ، الشعراني : ٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠ .

ما فعلت ، فكيف لو وقعت على إنسان »[١] !!

ويذكر الشعراني عن **تقي الدين السبكي** ، أنه قال : « حضرت سماعًا فيه الشيخ رسلان ، فكان يثب في الهواء ويدور دورات ، ثم ينزل إلى الأرض يسيراً ، فلما استقر أسند ظهره إلى شجرة تين قد يبست ، فأورقت واخضرّت وأينعت ، وحملت التين في تلك السنة »[٢] !!

وأخيراً . . هذا غيض من فيض ، مما كتبه ( إمامهم ) الشعراني ، في كتاب واحد فقط من كتبه التي قال عنها الإمام **محمد رشيد رضا** ـ رحمه الله ـ : « وكتبه المشهورة طافحة بالخرافات والدعاوى التي ينكرها الشرع والعقل ، وهي أضر على المسلمين من غيرها من الكتب الضارة المنسوبة إلى المسلمين وغير المسلمين . . والكتب المنسوبة إليه هي العمدة في الإضلال المنتشر بين المسلمين في الأولياء . . . إلى أن يقول : [ وهنا المصيبة ] وإني لأعلم أنه لا يزال في قرّاء المنار[٣] على استنارتهم ، من يَعظم عليه وقع الإنكار على كتب الشعراني ، وإن كان الغرض منه تنزيه الله تعالى ، فإن الذين أُشربت قلوبهم عقائد الوثنية يعظمون المشهورين من الذين يسمونهم أولياء ؛ أكثر مما يعظمون الله تعالى ، ويسرون أن يوصف أولياؤهم بصفات الألوهية »[٤] !!

وتحت عنوان « **بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم** »[٥] .

---

(١) المرجع السابق : ٢/ ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ١٥٤ .

(٣) اسم المجلة التي كان يصدرها ـ رحمه الله ـ .

(٤) فتاوى الإمام محمد رشيد رضا : ١/ ١٤٧ .

(٥) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي : ٤/ ٣٧٤ .

يذكر **أبو حامد الغزالي** جملة مما يسمونه كرامات كبار أوليائهم فيقول :

* « قيل لأبي يزيد البسطامي مرة : حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك؟ فقال : نعم ، دعوت نفسي إلى الله ، فجمحت عليَّ ، فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ، ولا أذوق النوم سنة ، فوفت لي بذلك »(١) !!

* ويقول . . . « لما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال ، اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم ؟ فسكت ثم قال : إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين ، لم يُصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة ؛ ولكن لا يفعلون ، قيل : لم ؟ قال : لأنهم لا يحبون مالا يحب ، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لايستطاع ذكرها ، !! حتى قال : ولو سألوه أن لايقيم الساعة لم يقمها »(٢) !!

**ويعلق الغزالي ( الحجة ) ! على هذه الترُّهات فيقول :**

« وهذه أمور ممكنة في أنفسها ، فمن لم يحظ بشيء منها ، فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها »(٣) !!

وبعد أن أسهب الغزالي في ذكر نماذج عديدة لكرامات ـ أوليائهم ـ المزعومة ـ أخذ يدعو ويرّغب في الوصول إلى هذه الولاية من خلال هذه الشروط العجيبة ، فيقول :

* . . ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها **بإذلال**

---

(١) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٥ .
(٢) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٥ـ٣٧٦ .
(٣) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٦ .

**النفس إلى منتهى الضعة والخسة** حتى روي أن ابن الكريبي ـ وهو أستاذ الجنيد ـ دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ، ثم كان يرده ، ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك ، حتى أدخله في المرة الرابعة ، فسألة عن ذلك ، فقال : قد رَضيَتْ نفسي على الذل عشرين سنة ، حتى صارت بمنزلة الكلب يُطرد ، فينطرد ثم يُدعى فيرمى له عظم فيعود ، ولو رددتني خمسين مرة ، ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت !!

وعنه أيضاً أنه قال : نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح ، فتشتت عليّ قلبي ، فدخلت الحمّام ، وعدلت إلى ثياب فاخرة ، فسرقتها ، ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها ، وخرجت وجعلت أمشي قليلاً قليلاً ، فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب ، وصفعوني وأوجعوني ضرباً ، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمّام ، فسكنت نفسي » !! (١)

**ويواصل الغزالي حديثه مؤكداً أهمية سلوك هذه الطرق الدنيئة للحصول على الولاية فيقول :**

* « فهكذا كانوا يروضون أنفسهم ، حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس ، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى ، وشغله بنفسه حجاب له . . ولذلك حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لايفارق مجلس أبي يزيد ، فقال له يوماً : أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر ، وأقوم الليل لا أنام ، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكره شيئاً ، وأنا أصدّق به وأحبه ، فقال أبو يزيد : لو صمت ثلاثمائة سنة ، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرّة ! قال : ولم ؟

(١) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٦ .

قال : لأنك محجوب بنفسك ، قال : فلهذا دواء ؟ قال : نعم ، قال : قل لي حتى أعمله ، قال : لا تقبله ، قال : فاذكره لي حتى أعمل ، قال :

اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك !! وانزع هذا اللباس ، واتّزر بعباءة ، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً ، واجمع الصبيان حولك ، وقل : كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة !! ، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود ، وعند من يعرفك وأنت على ذلك ، فقال الرجل : سبحان الله! تقول لي مثل هذا ! فقال أبو يزيد : قولك : « سبحان الله » شرك !!

قال : وكيف؟ قال : لأنك عظّمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك !! فقال : هذا لا أفعله ، ولكن دلني على غيره ! فقال : ابتدئ بهذا قبل كل شيء . فقال : لا أطيقه ، قال : قد قلت لك إنك لا تقبل »[1] !!

**ويُعقب الغزالي على هذا قيقول :**

« فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ، ومرض بنظر الناس إليه ، ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله »[2] !!

ويُعلق ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ على هذه التُّرهات التي وردت في الإحياء ، فيقول : وأعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد ، كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها ، وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم . . . فسبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه ، بتصنيفه كتاب الإحياء ،

---

(١) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٧ .

(٢) المرجع السابق : ٤/ ٣٧٧ .

فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لايحل ، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ، ويسمي أصحابه أرباب أحوال ، وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرىٰ المصلحة في النهي عنه . . . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف (١) .

وصدق الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ حينما قال : « مالزم أحد الصوفية أربعين يومًا فعاد إليه عقله أبدًا » (٢) .

ولم يذهب بعيداً حينما قال ـ أيضًا ـ : « لو أن رجلاً تصوف أول النهار ، لا يأتي الظهر حتىٰ يكون أحمق » (٢) .

**صدِّق أولا تصدِّق !!**

إن هذه الكرامات ، والمكاشفات المزعومة هي من الأمور التي يتفاخر بها الصوفية ، ويتناقلونها في مجالسهم ، ومناسباتهم ، ولم يرد عن أحد منهم أنه أنكرها ، أوردّ شيئاً منها ، أو طالب بحذفها من كتبهم ، فهم يوردونها علىٰ أنها حقائق ثابتة ، وكرامات خارقة ، لا عجب أن تحصل من أولئك الأولياء الذين لا يُسألون عما يفعلون ، فقد وصلوا إلىٰ مرتبة تجاوزوا فيها مرتبة النبوة ، بدليل أن الخضر وهو ولي ـ كما يزعمون (٣) ـ كان أعلم من موسىٰ عليه السلام وهو نبي !! حتىٰ قال قائلهم :

« خضنا بحراً وقف الرسل علىٰ ساحله .

---

(١) انظر : تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، ص ٣٩٦ـ٣٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(٣) يعتقد المتصوفة أن الخضر ـ عليه السلام ـ ولياً وليس نبياً ، حتي يثبتوا زوراً وبهتانًا أن الولي أفضل من النبي !!

وقال شاعرهم :

**مقـــام النبـــوة فـــي بـــرزخ فويق الرسول ودون الولي »** (١) !!

ولهذا ، فالصوفية يعتقدون بعصمتهم ، وعظيم قدراتهم ، في حياتهم ، وبعد مماتهم ، فيخشون من الإنكار عليهم حتى لو اقترفوا أبشع الفواحش ، والمنكرات .

ولذلك فقد حذّر ( الشيخ ) تاج الدين السبكي !! من انتقاد الأولياء ، فقال :

**« ما رأينا أحداً مبتلياً** (٢) **بالإنكار ، إلاّ وكانت خاتمته خاتمة سوء ، على أن الأولياء الذين يُنكر عليهم ، ليسوا بأصحاب مذاهب في الشريعة ، كالأئمة المجتهدين؛ إنما لهم ملاحظ ، يفهمها عنهم ، من يأخذ عنهم ، فرضي الله عنهم ، وعن المعتقدين فيهم أجمعين »** (٣) !!

وينقل الشعراني عند ترجمته لسويد السبخاوي أنه قال « من وقع في أولياء الله تعالى ، ابتلاه الله تعالى بانعقاد لسانه عند النطق بالشهادتين عند الموت ، ولقد كان شخص من أكابر بلدنا يقع في الفقراء [ يقصد الصوفية ] فحضرته الوفاة ، فقالوا له : قل لا إله إلاّ الله ، فقال : لا أستطيع ذلك ، فعلمت من أين أُتي ، فدخلت الحضرة وجعلت أترضى خاطرهم حتى رضوا عنه ، فأُطلق لسانه ، وأسأل الله قبول توبته » (٤) !!

---

(١) انظر : التصوف بين الحق والخلق ، محمد فهر شقفه ، ص ٨٧ .

(٢) كذا في الأصل والصواب أن يقال : مبتلىً .

(٣) الأنوار القدسية على هامش الطبقات الكبرى للشعراني : ١/ ١١٥ .

(٤) الطبقات الكبرى ، الشعراني ١/ ١٣٢ .

وبمثل هذه الحكايات التي يتناقلونها ، يخوّفون الناس من عدم الإيمان بكرامات أولئك الأولياء أو الإنكار عليهم .

ولا تظن ـ أخي المسلم ـ أن هذه الخزعبلات ، لا يؤمن بها إلا البسطاء من الناس ، وضعاف العقول الذين لا يملكون من العلم مثقال ذرة ، وإلا لهان الأمر ، ولسهل الخطب . ولكن المصيبة أن كثيراً من أصحاب العمائم ، وممن يظن أنهم ( قدوات ) هم أول من يحي ذكرىٰ أولئك السفهاء ، وهم من أكثر المنافحين عنهم ، وعن كراماتهم ، ومن هؤلاء شيخ الأزهر ـ نفسه ـ الشيخ عبدالحليم محمود الذي كرس حياته لنشر التراث الصوفي والدفاع عنه ، حتىٰ أنه « لما أراد أن يكتب عن ( سيرة [ سيده ] : أبي العباس المرسي ) ـ أحد الصوفية المخرفين ـ ، **ذهب إلى قبر السيد البدوي يستأذنه في كتابة سيرة سيده فأذن له** [١] !!

ويدعىٰ الشيخ إلىٰ الهند للمشاركة في احتفال إقامة قبّة علىٰ قبر شيخ من شيوخ الطرق الصوفية هناك فيلبي الدعوة » [٢] !!

وإن تعجب فعجبك من رمز من رموز الدعوة !! يشار إليه بالبنان ، ويقود أكبر جماعة إسلامية ، وهو الأستاذ / عمر التلمساني الذي يؤمن بهذه الخرافات ؛ بل وينافح عن أولئك الأولياء وعمن يعتقد فيهم فيقول « . . . لا داعي إذن للتشدد في النكير علىٰ من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة ، والدعاء فيها عند الشدائد » [٣] !!

---

(١) انظر : مقدمة كتاب سيرة سيدي أبي العباس المرسي ، عبد الحليم محمود .

(٢) الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده ، وطارق عبد الحليم ، ص ٩٧ .

(٣) شهيد المحراب ، عمر التلمساني ، ص ١٩٧

ويقول ـ أيضًا ـ « فمالنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم ، ومقاماتهم »[١] » !!

واقرأ وتعجّب ـ أيضًا ـ من رمز آخر من رموز الدعوة !! وهو الشيخ سعيد حوّى كيف يثني على أولئك الخرافين ؛ بل ويلوم كل من ينكر عليهم ، فيقول : « فإنكار أهل الكرامة لطبقات الصوفية ، إنكار غير علمي وليس في محله ، وأهم ما تنصب عليه الإنكار ، ما يحدث لأهل الطريقة الرفاعية من كون النار لا تؤثر فيهم ، ومن كونهم يضربون أنفسهم بالرصاص أو بالسيوف ولا يؤثر ذلك فيهم ، وهذه قضية منتشرة ومشتهرة ، وقد تتبعها الكثير من المنكرين فرجعوا عن الإنكار . . . وقد حدثني مرة ( نصراني ) عن حادثة وقعت له شخصيًا بعد أن بلغتني الحادثة من غيره وحدثني كيف أنه حضر حلقة ( ذكر ) فضربه أحد ( الذاكرين ) بالشيش في ظهره فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده ، ثم سحب الشيش منه ، ولم يكن لذلك أثر أو ضرر . إنّ هذا الشيء الذي يجري في طبقات أبناء الطريقة الرفاعية ، ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة . . . ، إن الحجة الرئيسة لمنكري هذا الموضوع ، هي أن هذه الخوارق تظهر على يد فسّاق من هؤلاء ، كما تظهر على يد صالحين وهذا صحيح ، والتعليل لذلك هو أن هذه الكرامة ليست لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي أكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في أتباعه ، من باب المعجزة لرسولنا عليه السلام ، فهي كرامة للشيخ الذي هو الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله »[٢] !!!

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) تربيتنا الروحية ، سعيد حوّى ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

**قلت** : لعل ماذكر آنفاً ؛ يفسر لنا سبباً من أهم أسباب انحطاط المسلمين وما آل إليه أمرهم، فحينما يصل الأمر بهم إلى أن يتولى كثير من علمائهم ودعاتهم، إحياء هذه الشركيات ، والذب عنها وعن أصحابها ، فذلك والله البلاء العظيم والخطب الجسيم .

## انتشار الصوفية في العالم الإسلامي

لا تحسب ـ أيها المنعم عليه بسلوك صراط الله المستقيم ـ أن أولئك المتصوفة ، شرذمة قليلة ، مبثوثة هنا وهناك ـ ويا ليتهم كذلك ـ ؛ بل هم خلق لا يحصيهم إلا خالقهم . ومن له أدنى معرفة بواقع هذه الأمة ، فإنه يدرك جيداً أن هذا الأمر قد عم وطم **بحيث لاتكاد « تجد بلدة من بلاد الإسلام ، ولاقرية من قراه [ عدا من تأثر بالدعوة السلفية في بعض مناطق المسلمين ] إلا وفيها قبور ، ومشاهد ، يعتقدونها** (١) **، وينذرون لها ، ويهتفون بأسمائها ، ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبر ، ويسرّجونه ، ويلقون عليه بالأوراد** (٢) **، والرياحين ، ويُلبّسونه الثياب ، ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها ، والتعظيم ، والخضوع ، والخشوع ، والتذلل ، والافتقار إليه .**

**بل هذه مساجد المسلمين ـ غالبها ـ لا يخلو من قبر ، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة، يصنعون ما ذكر ، أو بعضاً مما ذكر »** (٣) .

ويتحدث أبو الحسن الندوي عن انتشار هذه المشاهد والأضرحة ، فيقول : «**هذه المشاهد ، والمزارات ، في كل ركن من أركان العالم الإسلامي ، وَوُجِدت آلاف مؤلفة من القبور المزوّرة ، وتصدى الأمراء والسلاطين ، لوقف الممتلكات والأراضي الواسعة عليها ، وأقيمت عمارات ضخمة ، وقباب فخمة ، في أمكنة هذه القبور ومشاهد المشايخ ، كما وجدت أمة بأسرها من العاكفين والكناسين**

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها ( يعتقدون فيها ) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها ( الورود ) .

(٣) الدين الخالص ، محمد صديق حسن : ٢/ ٥٦٨ .

**والخدم لهذه القبور** »(١) .

وبلغ من إقامة القبور والمزارات ، أن أصبح ذلك « ميداناً للتنافس بين البلدان والتفاخر بها ، وبمقدار ما يحوزه البلد من أضرحة الأولياء ؛ تكون أفضليته عند الناس ، ويرغب في سكناه والمجاورة فيه ، وإذا افترض أن هناك بلداً لم يتشرف بحيازة شيء من هذه الأضرحة فإنه لا يعدم من أهله من يختلق أكذوبة وإشاعة يدّعي فيها أنه رأىٰ رؤيا أن المكان الفلاني من البلد يوجد به قبر ولي من الأولياء ، فيسارع الناس إلىٰ البناء علىٰ ذلك الموضع المزعوم ، وإذا به يغدو بعد أيام قلائل ، مزاراً يهرع إليه أهل البلد »(٢) .

ويقول العلامة الآلوسي مبيناً أن **القبورية في كثرتهم الكاثرة أكثر من الدود** ، عند تفسيره لقوله تعالىٰ ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون** ﴾(٣) ، « إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالىٰ وخالقيته مثلاً وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان . **ومن أولئك عبدة القبور ، والناذرون لها ، المعتقدون للنفع والضر ، ممنِ الله تعالى أعلم بحاله فيها ، وهم اليوم أكثر من الدود** »(٤) !!

هذا ، وقد أصدرت مشيخة الطرق الصوفية في مصر ، جدولاً يضم أسماء الطرق الموجودة فيها ، حيث بلغ عددها المعترف به من قبل المجلس

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة ، محمود القاسم ، ص ١٧٥ ، نقلاً عن كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، لأبي الحسن الندوي : ٢/ ١٧٦ .

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، علي بن بخيت الزهراني ، ص ٢٩٦ .

(٣) سورة يوسف ، آية ١٠١ .

(٤) روح المعاني ، للآلوسي : ١٣/ ٦٧ .

الصوفي الأعلى حتى عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ( **اثنتين وسبعين** ) **طريقة** [١] !!

وكل طريقة من تلك الطرق ، يتفرع عنها عشرات المئآت من الطرق الأخرى ؛ فمثلاً الطريقة ( **الشاذلية** ) يتبعها فروع كثيرة ، منها طريقة تسمى الطريقة ( **الحامدية الشاذلية** ) وهذه الطريقة ـ فقط ـ **يصل عدد فروعها في جمع قرى ومدن الريف المصري إلى ألف فرع** [٢] . فتأمل !!

ولذا لا غرابة أن يذكر صاحب كتاب ( السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية ) في هامش كتابه ، عند الحديث عن الطريقة الشاذلية التي يتبعها السلطان عبدالحميد « أنه عند ما كان في لندن عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م ، صادف احتفال الطريقة الشاذلية بتشكيل مجلس أعلى ، لإدارة شؤون الطريقة ، وذُكر في حينه أن أتباع تلك الطريقة في العالم اليوم يناهز **الأربعين مليونًا** » [٣] !! هذه طريقة فحسب ، فتأمل !!

وتلك الطريقة ـ وكل الطرق ـ إنما هي قائمة على بدع القبور ، وحول القبور ، يقدسون أصحابها ، ويستغيثون بهم ، ويطوفون حول أضرحتهم ، ويسألونهم من دون الله تعالى ، وبلغ من كثرة هذه الطرق ـ في ذلك البلد ـ أن تحولت « معظم مساجد القاهرة الكبيرة وعواصم المحافظات ، فضلاً عن الغالبية العظمى من مساجد الريف ، قد تحولت من بيوت لله إلى مقابر

---

(١) انظر : الجدول الذي يضم أسماء هذه الطرق في كتاب « الفكر الصوفي المعاصر ، وأثره الثقافي في مصر » للشيخ عبد العزيز محمد القشعمي ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ . وهو رسالة ماجستير صادرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، بالرياض .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، موفق بني المرجه ، ص ١٢٢ .

للأولياء والصالحين ، تمارس فيها معظم أنواع الشرك بالله ، من طواف ودعاء واستغاثة ، وتقبيل للأعتاب »[١] !!

ومن هذه القبور قبر ما يسمى بـ( **السيد الدسوقي** ) فقد شارك في الاحتفال السنوي الذي يقام احتفاءً بذكرى مولده ، عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م **نحو مليون شخص**[٢] !!

ومنها قبر ( **السيد البدوي** ) وهو الوثن الأكبر الذي « يؤتى عنده أنواع من الشرك الأكبر وتقدم له النذور ، ويجعل الفلاحون ، النصف ، والربع ، في أنعامهم ، وزروعهم ، بل وأولادهم ، فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ، ويضعه في الصندوق قائلاً : هذا نصيبك يا بدوي !!

ويقام له كل عام : ثلاثة موالد[٣] ، يشد الرحال إليها الناس من أقصى القطر المصري »[٤] .

وهذا الصنم الأكبر ـ عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من الأصنام ـ زاره في سنة واحدة فقط قرابة **الثلاثة ملايين** حاج[٥] !!

ولا غرابة في ذلك فقد ذكر الشيخ محمد السيد الوكيل ـ رحمه الله ـ أن « **طنطا** ـ مقر هذا الصنم ـ ، **تموج بالوفود ، وتعج بالآمّين من كل حدب** »[٦]

---

(١) الصوفية الوجه الآخر ، د. جميل غازي ص ٩٣ .

(٢) الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر ، عبد العزيز القشعمي ص ٢٤٨ .

(٣) أحدها يوم ولادته والآخر يوم وفاته ، والثالث في شهر رجب ، ويسمى المولد الرجبي !!

(٤) فتح المجيد ، انظر الحاشية ، بتعليق العلامة محمد حامد فقي ، ص ١٩٢ .

(٥) انظر : عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ص ٦٤ . وانظر : التوسل بالأولياء ، عبد اللطيف السيد علي ، ص ٦٦ .

(٦) الفكر الصوفي ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٧٣٠ .

وبالذات في مناسبة المولد ، بل إن الدراسة تعطل في ذلك اليوم لشدة زحام الحجاج الوافدين إلى ذلك الصنم ، من شتى أقطار العالم الإسلامي .

وقد زعم الخليفة الحالي للسيد البدوي في أحد موالده عام ١٩٩١م « أن السيد البدوي موجود معك أينما كنت ، ولو استعنت به في شدتك وقلت : يابدوي مدد ، لأعانك وأغاثك »[١] !!

**قال ذلك في الجموع المحتشدة وبحضور العلماء والوزراء ، وقد بثته وتناقلته وسائل الإعلام المختلفة**[١] !!

أما في بلاد الشام فقد تحدث الأديب عبدالله بن خميس في كتابه ( شهر في دمشق ) عن ظاهرة انتشار الصوفية ، في العالم الإسلامي ، هذا الدّاء الذي ينخر في جسم الأمة الإسلامية ، فيقول :

« لا يزال السواد الأعظم من المسلمين ، يغدون ويروحون ، إلى عظام بالية ، تحت أطباق الثرى ، يقدمون لها الهدايا ، ويذبحون لها النذور ، ويطوفون حولها . . . ولقد ألفيت هذه الظاهرة في دمشق ، واضحة جلية ، ووجدت الكثيرين من الناس ، تعشعش هذه الفكرة في أدمغتهم ، وتحتل من أفئدتهم المكان الأول »[٢] .

ثم أخذ يعدد بعض الأضرحة والمزارات ، التي يأتيها فئام من الرجال ، والنساء ، والصبايا ، ويسألونهم من دون الله ، بأسلوب أخّاذ ، لا يخلو من نبرة الحزن والأسى ، إلى أن أتى إلى « **القبر الأكبر الذي يحظى بحج**

---

(١) انظر بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة ، محمد حامد الناصر ، ص ٢٦٥ ، نقلاً عن كتاب السيد البدوي دراسة نقدية ، د. عبد الله صابر ص ٥٤ .

(٢) شهر في دمشق ، عبد الله بن خميس ، ص ٦٢ .

**الجماهير إليه ، وهو ما يقال عنه قبر زينب بنت علي بن أبي طالب ، فلقد وجدت سوادًا كثيرًا من الناس ملأ قبة القبر ، ثم البناء المحيط بالقبة ـ وما أكبره ـ ثم الفضاء والشجر المحيط بالقرية التي فيها القبر ، ووجدت المقاهي والمطاعم والسيارات ، تغدو وتروح على حساب الزوّار .**

**ووالله ما شبهت هذا الجمع الغفير الذي يموج بعضه في بعض إلا بالناس حول الكعبة، ويا بعد ما بين المظهرين »** (١) .

أما في نيجيريا فيقدر الشيخ علي الدخيل الله « أتباع ( **الطريقة التجانية** ) ـ فقط ـ بأكثر من **عشرة ملايين** » (٢) ، هذا في نيجيريا وحدها !! ولها أتباع ـ أيضاً ـ في « بلاد المغرب ( المقر الذي انطلقت منه ) والسودان الغربي (السنغال) وشمالي أفريقيا ، ومصر ، والسودان ، وغيرها من افريقيا » (٣) **فكم يصل عدد أتباع تلك الطريقة إذن !!**

أما ( **الطريقة الختمية** ) فلها « أتباع وأنصار يعدون **بعشرات الملايين** ، ويزعمون أنهم مسلمون ، ومؤسس هذه الطريقة يطالب أتباعه ، إذا وقع الواحد منهم في الكرب أن يناديه هو ، لا أن يلجأ إلى الله ، فيقول في قصيدة له :

**إذا كنت في هم وغم وكربةِ**

**فنادِني أيا مرغني أنجيك من كل كربة »** (٤) !!

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٧ . (٢) التجانية ، علي الدخيل الله ، المقدمة ص (هـ) .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص ١٢٩ .

(٤) كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد ، عمر الأشقر ، ص ٣٩ .

وهذه الأضرحة التي تعبد من دون الله ، ليست مقتصرة على تلك البلدان ـ فحسب ـ بل تفاقم أمرها وتزايد شرها فصار « في كل قطر من الأقطار ؛ بل في كل مدينة من المدائن ؛ بل في كل قرية من القرى ، جماعة من الاموات ، يعتقدهم الأحياء ، ويعكفون على قبورهم ، وينتسبون إليهم»(١) !!

**أما إن « يممت وجهك صوب المشرق ، فثَمَّ البلاء كله** ، فالهنود مغرمون بالمبالغات ، والقصص الغريبة عن شيوخ الصوفية ، وقد انتشرت في هذا العصر الطريقة ( **البريلوية** ) وامتدت إلى باكستان ، ولها أتباع كثيرون من الحمقى والمغفلين ، ومبادؤها تمثل الغلو في شخص الرسول ﷺ ، ومعاداة أهل السنة . قال مؤسس الطريقة أحمد رضا ، موضحاً منهج الصوفية في الابتعاد عن التوحيد : إذا تحيرتم فاستعينوا بأصحاب القبور »(٢) !!

بل إنك لاتكاد تجد في « **بلد من بلاد الهند ، ولا قصبة من قصباته ، ولا قرية من قراه ؛ إلا وفيها قبر ولي أوصالح ، يعبدونه جهاراً** ، ويلقون عليه أردية ، ورياحين ، ويوقدون عليه السرج ، ويسافرون إليه في شهر معين من كل سنة ، زرافات ووحداناً ، وينذرون له بأنواع من النذور ، ويبذلونه لسدنة القبور ومجاوري المقبور ، فإذا وصلوا إليه ـ بعد مشقة ـ من شقة بعيدة ، فعلوا به من الطواف ، والتقبيل ، والاستلام ، والقيام بالأدب التمام في محاذاة قبور الكرام ، ونحوهما ، مما هو شرك بحت في الاسلام .

وذلك كله ـ بعينه ـ صنائع المشركين الماضين ، وبدائعهم التي جاء الرسل

---

(١) وجوب توحيد الله عز وجل ، الشوكاني ، ص ٩٥ .

(٢) الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده ، وطارق عبد الحليم ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

لمحوها، ولأجلها نزلت الكتب، ونهىٰ عنها سلف هذه الأمة وأئمتها »(١).

**أما إذا انتقلت إلى « البلاد التركية ، والرومية ، والأفغانية الواسعة الأرجاء والأطراف** ، فستشاهد كثيراً من المسلمين ، يعبدون القبور ، وأهلها ، ويستغيثون بهم ، ويدعونهم لدفع الكربات ، وينذرون لهم النذور ، ويحجون إلىٰ المشاهد والقبور مع ارتكابهم أنواع الفجور ، فضلاً عن البدع، والشركيات ، وقد بنوا عليها قببًا ، ومساجد ، واتخذوها أوثانًا ، يعبدونها من دون الله ، فأعيدت الجاهلية الأولىٰ ، والوثنية الجهلاء في صورة القبورية الخرقاء »(٢).

**وهكذا أينما فتشت في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، تجد صورًا أخرى كثيرة للطرق الصوفية ومظاهرها ، أشد غرابة وأكثر إيلامًا مما ذكر** ، فها هو العلامة محمد بن سلطان الحنفي ( ت ١٣٧٩ هـ ) يأخذه العجب من هول ما رأىٰ من ذلك ، فيقول : « لما سافرت من بلدة غولجة (٣) ، ودخلت بلاد آقصور ، وختن وما والاها ، **رأيت غالب أهلها عبّاد القبور ، يطلبون قضاء حوائجهم ، ممن يعتقدونه من الأرواح الخاليات ، والاموات الرميمات** »(٤) ! !

وأخيراً . . . قد يذهل المسلم ، حينما يعلم أن عدد هذه القبور ، والأضرحة ، في العالم الإسلامي، التي يطاف حولها، وتقدم لها القرابين،

---

(١) الدين الخالص ، محمد صدّيق حسن ، ٢/ ٥٦١ .

(٢) الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات ، للشمس السلفي الأفغاني ( مؤسس الجامعة الأثرية ببشاور ) : ٣/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٣) من بلاد تركستان الصينية .

(٤) حكم الله الواحد الصمد ، محمد سلطان الحنفي ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

من دون الله تعالى قرابة « **العشرين ألف ضريح** »[١] !! !!

وفي مصر وحدها « **المشهور منها ـ فقط ـ يزيد على ألف ضريح** »[٢] !!

أما الأستانة ـ أحد المدن التركية ـ « فيوجد بها أربعمائة وواحد وثمانون جامعًا لايكاد يخلو جامع فيها من ضريح »[٣] .

وبالجملة . . لا أحسبني في حاجة إلى المزيد من النقولات التي تدل على انتشار الصوفية ومظاهرها الشركية ، **بأكثر من الواقع الذي يعيشه المسلمون في معظم أوطانهم ، فهو أمر قد شاع وذاع ، وملأ الأسماع .**

**والمصيبة الجلل ، أن الطرق الصوفية في العالم الإسلامي ، لاتتقلص وتذبل مع التحضر والتقدم ، بل إنها تتوالد وتتكاثر بصورة يصعب معها حصرها وإحصاؤها .**

ومن ذلك مثلاً :

أن عدد الطرق الصوفية في مصر عام ١٣٢٣هـ بلغ ( **اثنتين وثلاثين** ) طريقة ، ثم ارتفع عددها إلى ( **ستين** ) طريقة عام ١٣٧٨هـ .

وفي عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ازداد عددها إلى أن بلغ ( **سبعاً وستين** ) طريقة .

---

(١) من محاضرة للشيخ عبد الله الجلالي في شريط ( كيف نستقبل العام الجديد ) . وعند الاتصال بالشيخ الجلالي لتوثيق هذه المعلومة ، أشار بأنها صادرة عن إحدى نشرات المعهد العالمي للإحصاء بفرنسا ، ثم أكد ـ حفظه الله ـ إلى أن مثل هذا الأمر ، لايحتاج إلى توثيق فهو ظاهر ملموس ومشاهد محسوس ، وواقع العالم الإسلامي يشهد بذلك .

(٢) الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر ، عبد العزيز القشعمي ، ص ٢٤٨ .

(٣) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، علي الزهراني ، ٢٩٥ نقلاً عن دليل الأستانه ، ص ٤٨ .

وفي آخر إحصاء لها عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م بلغ عددها المعترف به من قبل المجلس الصوفي الأعلى ( **اثنتين وسبعين طريقة** ) ، عدا عشرات الطرق غير المعترف بها رسمياً ، والتي تمارس النشاط نفسه[١] .

هذا في بلد واحد ـ فقط ـ وعليه فقس !!

ولا غرابة في ذلك كله ، طالما أن معظم الجماعات الإسلامية الدعوية منصرفة إلى أمور جزئية ، اعتقدت أنها أولى وأهم من هذا الشرك الذي يضرب أطنابه في معظم أقطار المسلمين وأمصارهم ، فأصبحت هذه الطرق تتوالد وتتكاثر دون أي مقاومة تذكر .

وكما قيل :

**خـــلا لك الجـــو فبيضي واصفـري**

**ونقـــري مـاشئـت أن تنقـري**

**و : لمثل هذا يذوب القلـب من كمـــد**

**إن كـان في القلـب إسلام وإيمـان**

---

(١) انظر : الفكر الصوفي المعاصر . . . عبد العزيز القشعمي ، ص ٢٢٢ .

## رسائل إلى الإمام الشافعي !!

بين يدي الآن كتاب بعنوان « **رسائل إلى الإمام الشافعي** » يتحدث فيه مؤلفه عن ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ ويقوم بدراستها وتحليلها من ناحية اجتماعية بحتة ؛ حيث استطاع ـ كما يقول ـ أن يحصل على مجموعة كبيرة من الرسائل التي ترسل إلى ضريح الإمام الشافعي [١] ـ رحمه الله ـ عن طريق البريد !! وهناك أنواع أخرى من الرسائل ، يأتي بها أصحابها شخصيًا ويودعونها مقصورة ضريح الإمام !! ومن ثم تجمع هذه الرسائل أسبوعيًا ، وتعدم تحت إشراف المسؤول عن الضريح [٢] .

وسأذكر بعض النماذج منها ، مع ملاحظة أن معظم هذه الرسائل يغلب عليها طابع السذاجة في التفكير ، سذاجة أقرب إلى البساطة ، وسأنقلها كما نقلها صاحب الكتاب دون أي تصرف في نصها ؛ فاضغط على قلبك ـ أخي ـ واقرأ ، وحاول أن تحصي ما فيها من الشركيات :

**الرسالة الأولى :**

من امرأة مسكينة تشكو فيها إلى الإمام الشافعي ما نزل بها ، فتقول : بعد البسملة والصلاة والسلام على أشرف المرسلين « صاحب الكرامة ، والمجد العزيز ، وصاحب المنصب العالي ، وقابل شكوى كل مظلوم ،

---

(١) ولم يُبيّن المؤلف سبب اختياره للشافعي بالذات رغم أن إرسال الرسائل لجميع الأولياء معروف ومشهور !!

(٢) انظر : رسائل إلى الإمام الشافعي ، سيد عويس ، ص ٢٨ .

وأنت من رجال الله الصالحين ، باسمك ومقامك العالي ، الاسم المفضل ، الشيخ الإمام الشافعي صاحب المقام المفضل ، ناديتك في أعز ضيق وكرب بخلاص حقي . وأنت الوكيل المتصرف ، ورفعت شكواي لصاحب الموكب العظيم ، والوجه السمح ، الذي حكم بين أمه وأبيه ، وأنا رفعت مظلمتي للمنصب العالي ، ورب العرش العزيز القادر على العباد ، ووكلت الشيخ الإمام الشافعي في خلاص حقي في جميع من اعتدى عليّ . وهدم منزلي ، وأنا لم أعرف أي شخص وأنت المتصرف . . »(١) !!

**الرسالة الثانية :**

ويقول صاحبها :

« إلى الإمام الشافعي ، رضي الله عنك يا إمام يا شافعي ، إنَّ فلانة اشتكت لك فلان اتهمنا في الدره أنا وأولادي ، وكتب فينا بلاغ وشحططنا في المركز ، ومن المركز على النيابة وفضحنا وقطّع عرضنا في البلد ، وإحنا على وش الموسم ، فلان وفلانة ، اشتكوا لك ووقعوا في عرضك وعرض أبوك ، وجابوا لك ربي وساطه [ واسطة ] يا إمام ياشافعي . . »(٢) **فانظر يا للمسكين كيف يتوسل بالله جل وعلا إلي الشافعي !!!**

**الرسالة الثالثة :**

تقول فيها بعد البسملة وقوله تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ موجهة خطابها إلى الإمام الشافعي : « كما شرعت بين والدك ووالدتك أن تشرع بيني وبين فلانة بنت فلان ، مستجيرة فيك تخلص

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

لي حقي وذنبي ، يا إمام يا شافعي ، مستجيرة فيك أن تشرع بيني وبين من قال علي الكلام ده وأنشأه علي . والله أعلم ورسوله وأنت . وحسبي الله وأنت الوكيل »[١] !!

وهكذا بقية الرسائل ـ ولا أظن مسلماً يحتمل أكثر من هذا ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والمصيبة الجلل ـ كما يقول صاحب الكتاب ـ أن « إرسال هذه الرسائل أمر معروف وموجود ، بل هو منتشر في أماكن متعددة ، تشمل مساحة نحو ثلاثة أرباع محافظات الجمهورية !! وهو أمر مستمر على مرّ الأيام ، والأسابيع والشهور ، والأعوام ، وقد نزيد على ذلك فنقول : إنه أمر مستمر على مر الأجيال »[٢] !! .

ولنا إزاء ذلك أن نطلقها صرخة مدوية من قلب مكلوم يعتصر ألماً وحرقة :

هذه الأجيال التي نشأت وستنشأ على مثل هذه الشركيات ؛ مسؤولية من إذا تخلت عنها المجامع العلمية . . . والهيئات الشرعية . . . والجمعيات الدعوية . . . وأنا وأنت . . . والآخرون . . . علماء ودعاة . . . وطلبة علم ، لا شك أنها مسؤوليتنا جميعاً ، ولكن المسؤولية تعظم وتكبر ، في حق من يقدم نفسه للناس ، على أنه حامل لواء الدعوة ورافع رايتها ، وأقصد بذلك الجماعات والحركات الإسلامية !!

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

## الشرك ... بين الأمس واليوم

إن من عرف شيئًا من بدع المتصوفة اليوم ؛ علم يقينًا أن عندهم من الشركيات مثل ماكان عند العرب السابقين الذين نزل القرآن ببيان شركهم أو أشد .

فالعرب الأوائل كانوا يعبدون الأصنام ، وكان لكل قبيلة منهم صنم يختلف عن صنم القبيلة الأخرىٰ ، ومع كثرتها إلاّ أنها لا توازن بما عند المتصوفة اليوم، فالعالم الإسلامي يعج بالآلاف من الأصنام ـ كما مر معنا ـ .

ثم إن العرب في جاهليتهم لم يكونوا بهذه السذاجة التي يتصورها كثير من الناس ؛ من الاعتقاد بأنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام لذواتها ، لا ؛ فقد كانوا يعلمون أنها أحجار عملوا معظمها بأيديهم ، لا تضر ولا تنفع ؛ وإنما عبدوها علىٰ أنها رمز لشيء آخر سواء أنبياء أو صالحين ، كود ويغوث ويعوق ونسرا . . . فهم لم يعبدوها استقلالاً ؛ وإنما لتقربهم إلىٰ الله زلفىٰ ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ (١) .

وعبدوها لأنها ـ بزعمهم ـ ستشفع لهم عند الله ﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾ (٢) .

أما الاعتقاد بأنها ترزق من تشاء ، أو تخلق الخلق ، أو تنزل المطر ، أو تنبت الزرع ، أو تدبر الأمر . . . فلم يكونوا يعتقدون بشيء من ذلك ، قال

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٣ .

(٢) سورة يونس ، آية : ١٨ .

تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّه ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّه »(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّه ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّه ﴾(٤) .

ثم إنهم مع ذلك كله ، لم يكونوا يهتفون بتلك الآلهة إلاّ في الرخاء فقط ، أمّا في الشدة فقد كانوا يدعون الله وحده ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾(٥) .

ومع هذا فقد عد الله ذلك منهم شركًا صريحًا ، ولم يعذرهم في تأولاتهم أو شبهاتهم .

أما متصوفة زماننا ؛ فشركهم ليس في توحيد الألوهية ـ فحسب ـ كما كان العرب السابقين ، بل في الألوهية والربوبية أيضًا !!

فهم يقصدون أولياءهم إستقلالاً ، ويصرفون لهم كل أنواع العبادة ،

---

(١) سورة يونس ، آية : ٣١ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٦١ .

(٣) سورة العنكبوت ، آية : ٦٣ .

(٤) سورة الزخرف ، آية : ٨٧ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية : ٦٥ .

فتجد العقيم من الرجال والنساء ـ مثلاً ـ يتضرعون عند قبورهم كي يهبوا لهم البنين والبنات ، وكأن بيدهم الخلق والرزق . . . وإذا وقع الواحد منهم في كرب أو شدة ، رفع صوته مستغيثًا بطلب المدد من الولي الفلاني ، وكأنه على كل شيء قدير . . . وتجد الواحد منهم يحلف بالله ، ولكنه يتلكأ ويتلعثم ويعترف بالحق إذا طلب منه أن يحلف بالولي الفلاني .

أمّا الذبح والنذر لأوليائهم ؛ فحدّث ولا حرج ، ومن زار بعضًا من تلك الأضرحة ؛ فإنه يرى الكثير والكثير من هذا !!

إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا ينبغي أن تصرف إلا لله وحده ؛ من الرجاء والخوف وطلب الرزق والدعاء والاستغاثة والاعتقاد أن بيدهم النفع والضر ، **وهم لا يفعلون ذلك في الرخاء ـ فحسب ـ بل في الرخاء والشدة!!**

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ :

اعلم أن شرك الأولين ، أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

**أحدهما :**

أن الأولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلاّ في الرخاء .

وأما في الشدة ، فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا** ﴾(١) .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٦٧ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾(١) .

**أما أهل زماننا : فإنهم يدعون الأولياء ويستغيثون بهم في الرخاء والشدة .**

**الأمر الثاني :**

أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله ؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة ، أو يدعون أحجارًا ، أو أشجارًا مطيعة لله ، ليست عاصية .

**وأما أهل زماننا : فإنهم يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، والزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح ، أو الذي لايعصي مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه ، وفساده ، ويشهد به**(٢) .

بل إن أهل مكة، كانو أعلم بكلمة ( لا إله إلا الله ) من كثير من المسلمين في وقتنا الحاضر ، فهم لم يقولوها ، لأنهم يعلمون تمامًا أنها ليست مجرد كلمة تقال باللسان ، ثم يأتي الإنسان بما يناقضها ، وإلا لقالوها ، وانتهى ما بينهم وبين محمد ﷺ من العداوة والشحناء .

أما كثير من المسلمين اليوم ، فإنهم يرددونها صباح مساء ، دون أن يعوا معناها فضلاً عن شروطها . ولهذا تراهم يقعون بالشرك الأكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون ، وهم على غير ذلك .

ولعلي بهذه المناسبة ، أسوق قصة محزنة مبكية ، تصور واقع كثير من

---

(١) سورة لقمان ، آية : ٣٢ .

(٢) انظر : كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧ ـ ١٨ .

أفراد هذه الأمة ، وقعت للشيخ محمد أحمد باشميل ـ رحمه الله ـ يقول :

« . . . كنا **أكثر من ثمانين** راكبًا في سفينة شراعية صغيرة ، وعندما هاج علينا الموجُ وغشينا من كل مكان ، صارت السفينة تهبط بنا بين الأمواج الهائلة ، وكأنها تنوي الاستقرار في قاع البحر ، وترتفع مع المد وكأنها تريد الطيران من البحر .

وفي تلك الساعة العصيبة ، ضجَّ القبوريون بالدعاء ، وطلب العون والمدد ، لامن الله الحي القدير على كل شيء ؛ وإنما من الميت الذي لا يقدر على شيء !!

فقد توجهوا بقلوب خاشعة كسيرة إلى الشيخ : سعيد بن عيسى ـ رحمه الله ـ الذي فارق الحياة منذ أكثر من ستمائة سنة ، وأخذوا يدعونه في فزع مشوب بالرجاء ، قائلين : ( **يا بن عيسى ، يا بن عيسى ، حلها يا عمود الدين** ) . وأخذوا يتسابقون بنذر النذور له ، والتعهد بتقديمها عند قبره ، إن هم نجوا من الغرق ، وكأن أمرهم بيده ، لا بيد الله سبحانه وتعالى .

وعندما حاولت إقناعهم بأن هذا موقف لا يصح أن يتوجه فيه مسلم إلى غير الله ، ورجوت منهم ـ في شفقة وإخلاص ـ أن يلجأوا إلى ربهم يخلصوا له الدين بالتضرع بالدعاء إليه وحده ، وأن يتركوا الشيخ ابن عيسى الذي ليس له من الأمر شيء ، الذي لا يسمعهم فضلاً عن أن يجيب دعاءهم ، ثاروا ، وصاحوا جميعًا : ( **وهابي ، وهابي** ) !! وكادوا يقذفون بي بين الأمواج الهائجة ، لولا أن الله حماني منهم ، ثم ببعض الذين يكتمون إيمانهم في السفينة .

وعندما هدأت العاصفة ، ونجونا بعون الله تعالى وفضله وحده وليس بفضل ابن عيسى طبعًا ، وأقبل بعضنا يهنئ بعضًا ، أخذ هؤلاء القبوريون يؤنبونني ، ويخوفونني من سوء الظن بالأولياء ، ممتنين عليَّ بالنجاة ، ومذكرين بأنه لولا حضور القطب ابن عيسى في تلك الساعة العصيبة لكُنَّا جميعًا في بطون الأسماك »[1] !!

(١) كيف نفهم التوحيد ، محمد أحمد باشميل ، ص ٢٧ ـ ٢٩ . وللمزيد من هذه القصص المؤلمة ؛ اقرأ ما يذكره فضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو ـ حفظة الله ـ في كتابه القيّم ( كيف اهتديت إلي التوحيد والصراط المستقيم ) لترى الشرك والخرافة ومدى انتشارها الواسع ، من خلال مواقفه المتعددة وتجاربه المريرة ؛ مع أصحاب الطرق الصوفية ، إلى أن هداه الله تعالى إلى التوحيد والصراط المستقيم .

## آثار الفكر الصوفي

إن آفة التصوف لما ظهرت وفشت بين المسلمين ، وعمّت بها البلوى ، تسببت في أضرار بالغة على المسلمين ، من أهمها :

**أولاً** : أنها أدخلت على المسلمين الكثير من العقائد المنحرفة ، والتصورات الشركية الفاسدة ، حتى أصبح التصوف في نظر كثير من المسلمين ـ اليوم ـ هو الدين الحقيقي ، وأن كل مخالف لهم لا يفقه في الدين شيئًا ، ولا يعرف للأولياء حقًا !!

ونتيجة لشيوع فكرة التصوف عند أولئك الجهال ـ وما أكثرهم ـ تجدهم عند القبور وبين القبور ، يقصدونها ويصرفون لها الكثير من العبادات التي لا ينبغي أن تصرف إلا لله ، كالذبح لها أو عندها ، والطواف بها وطلب الحوائج منها ، والاستشفاع بها ، واللجوء إليها لدفع الضرّ أو جلب النفع ، وغير ذلك من أنواع العبادات .

ويكفي قول الشعراني وهو من أئمة الصوفية في كتابه ( الجوهر والدر ) إن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي حوائج الناس .

ومما هو شائع عندهم ، طلب الإمداد من المقبورين ، كقولهم : مدد ياسيدي أحمد البدوي ، مدد ياحسين ، مدد يا أم هاشم ، مدد ياعبدالقادر الجيلاني . . إلخ .

وكل هذا من الشركيات الخطيرة ، التي وقع فيها الجهال من المسلمين ، باعتقادهم أنّ الأولياء بيدهم النفع والضر ، رغم أنهم لايملكون ذلك

لأنفسهم فضلاً عن غيرهم .

**ثانيًا** : ومن هذه الأضرار البالغة ، ما يظهر في احتفالاتهم وموالدهم ، من المفاسد الخلقية العظيمة ، كاختلاط الرجال بالنساء ، ورقصهم وغنائهم ، وتبرّج النساء ، وشيوع شرب الحشيش والمخدرات ، بل والزنا بحيث إن هذه الموالد أصبحت في كثير من الأحيان بمثابة مواسم وأسواق ، يقصدها أهل الفحش والزنا والفجور ، لمعاقرة كل أنواع الفواحش ، وأين هذا كله من دين الله ـ عز وجل ـ ؟!

**ثالثًا** : ومن هذه الأضرار أن كثيراً من غير المسلمين لما رأوا أفعال الصوفية ، واعتقاداتهم ، وتصرفاتهم في هذه الموالد ، مع مشاركة بعض المنتسبين إلى العلم لهم في هذه الاحتفالات ممن لبسوا العمائم ، أساءوا الظن بدين الإسلام ، وقالوا : لاخير في دين يأمر بهذا و يشرعه لأهله .

وما درى هؤلاء أن الإسلام بريء من أفعال أولئك ، وما درى أولئك أنهم صدّوا عن سبيل الله بأفعالهم ، وأين كل هذا مما أمر الله به وشرعه لعباده ؟!

**رابعًا** : إن هذه الفكرة ـ فكرة التصوف ـ تسببت في تفريق شمل المسلمين إلي فرق ، وطوائف ، وشيع ، ما أنزل الله بها من سلطان : ﴿ **إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُس** ﴾ (١) .

فهذا نقشبندي ، وهذا جيلاني ، وهذا رفاعي ، وهذا شاذلي ، وهذا برهاني ، وهذا جشتي ، وهذا ختمي . . . إلخ . وكل منهم يعتقد أنه يمثل

(١) سورة النجم ، آية ٢٣ .

الدين الإسلامي الحق ، وأن ما عداه على زيغ وضلال !!

وكل هذا من أسباب نزول البلاء وتسلّط الأعداء .

**خامسًا** : يُعزى إلى الصوفية الفضل في بث روح الكسل والخمول ، والتواكل بين المسلمين ، وعدم الجد في أمور الدين والدنيا ، وعدم الأخذ بأسباب القوّة في مواجهة أعداء الإسلام ، زعمًا منهم أن هذا بلاء من الله ولا داعي لمحاولة مواجهة القدر الإلهي [١] !!

هذه بعض الآثار ، ولعلها تكاد تكون السبب الأول ، في انحطاط هذه الأمة ، وتخلف النصر عنها ، وعدم تمكينها من أعدائها عقوبة من الله تعالى لهم على ذلك ، قال سبحانه ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [٢] .

---

(١) من مقدمة الدكتور محمد الخميِّس لكتاب الحماسة السنية في الرد على بعض الصوفية لحسن البحيري ( بتصرف ) .

(٢) سورة الروم ، آية : ٤١ .

## دمعة على الإسلام

هذا الواقع المر الأليم ، الذي أصاب كثيراً من المسلمين وأدىٰ بهم إلىٰ الابتعاد عن عقيدتهم ومصدر عزهم ؛ جعل الأديب المسلم مصطفىٰ لطفي المنفلوطي يتحدث بكل أسىٰ وحسرة ، قائلاً :

« أيُّ عين يجمل بها أن تستبقي من شؤونها قطرة لا تريقها أمام هذا المنظر المؤثر ، منظر أولئك المسلمين وهم ركع سجد علىٰ أعتاب قبر ميتٍ ربما كان بينهم من هو خير منه في حياته ، فأحرىٰ أن يكون كذلك بعد مماته .

أيُّ قلب يستطيع أن يستقرّ بين جنبي صاحبه ساعةً واحدة فلا يخفق وجداً أو يطير جزعًا حينما يرىٰ المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر المشركين إشراكًا بالله ، وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات .

لماذا يَنقِم المسلمون التثليث من المسيحيين ، ولماذا يحملون لهم في صدورهم تلك المَوْجدة وذلك الضغن ، وعلام يحاربونهم ، وفيم يقاتلونهم ، وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغَهم ، ولم يُغرقوا فيه إغراقَهم ؟

يدين المسيحيون بآلهةٍ ثلاثة ولكنهم كأنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبُعده عن العقل فيجملون فيه ويقولون إن الثلاثة في حكم الواحد ، أما المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة أكثرها جذوع أشجار وجثث أموات وقطع أحجار من حيث لا يشعرون .

كثيراً ما يُضمر الإنسان في نفسه أمراً وهو لا يشعر به ، وكثيراً ما تشتمل

نفسه على عقيدة وهو لا يُحس باشتمال نفسه عليها ، ولا أرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلجأون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود ، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب قالوا إنا لا نعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله ، كأنهم لا يشعرون أن العبادة ما هم فيه ، وأن أكبر مظهر من مظاهر الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين إليه يلتمسون إمداده ومعونته ، فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لا يشعرون . . .

ياقادة الأمة ورؤساءها ، عذَرنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها ، وقلنا إن العاميّ أقصرُ نظرًا وأضعف إدراكًا من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة في النُّصب والتماثيل والأضرحة والقبور ، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله وتقرأون صفاته ونعوته وتفهمون معنى قوله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّه** ﴾ (١) وقوله مخاطبًا نبيه ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا** ﴾ (٢) وقوله : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ (٣) .

إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم « كل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف » فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يخصصون قبراً أو يتوسلون بضريح ، وهل تعلمون أن أحداً منهم وقف عند قبر النبي ﷺ أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته يسأله قضاء

---

(١) سورة النمل ، آية : ٦٥ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٨٨ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١٧ .

حاجة أو تفريج كربة ، وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرمُ عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ، وهل تعلمون أن النبي ﷺ حينما نهىٰ عن إقامة الصور والتماثيل نهىٰ عنها عبثًا ولعبًا أم مخافة أن تعيد للمسلمين **جاهليتهم** الأولىٰ ، وأيُّ فرق بين الصورِ والتماثيل وبين الأضرحة والقبور ما دام كل منها يجر إلىٰ الشرك ويفسد عقيدة التوحيد ؟

والله ما جهلتم شيئًا من هذا ولكنكم آثرتم الدنيا علىٰ الأخرة فعاقبكم الله علىٰ ذلك بسلب نعمتكم ، وانتقاض أمركم ، وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ، ويستعبدون رقابكم ، ويخربون دياركم ، والله شديد العقاب »[1] .

**تألّم الشوكاني على هذا الواقع :**

ويبث الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ شكواه متحسراً علىٰ هذا الواقع الأليم فيتحدث عن انصراف أهل الغيرة عن إنكار مثل هذه المنكرات ، التي ما رزئ الإسلام بمثلها ، فيقول عند شرحه لقوله ﷺ « **ولا قبراً مشرفًا إلا سويته** » :

« كم قد سرىٰ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام ، منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة علىٰ جلب النفع ودفع الضر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها مايسأله العبّاد من

---

(١) النظرات ، مصطفىٰ لطفي المنفلوطي ٢/ ٢٦١ .

ربهم ، وشدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ ، **ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ، ولا متعلمًا ، ولا أميرًا ، ولا وزيرًا ، ولا ملكًا .**

وقد توارد إلينا من الأخبار ، ما لايشك معه ، أن كثيراً من هؤلاء القبوريين ، أو أكثرهم ، إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه ، حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ ، وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة على أن شركهم ، قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة .

**فيا علماء الدين ، ويامولك المسلمين : أي رزء للإسلام أشد من الكفر ، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ، وأي منكر يجب إنكاره ، إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا »**[1] .

---

(١) نيل الأوطار ، الشوكاني : ٤/ ٨٣ ـ ٨٤ .

## سبب انتشار الشرك في العالم الإسلامي

وبعد هذا كله ؛ فإن للمسلم أن يتساءل :

ما الذي أوقع أولئك المتصوفة في عبادة القبور والافتتان بها ، مع العلم أن ساكنيها أموات لايملكون لهم ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولانشوراً؟!

نقول ـ وبالله التوفيق ـ أوقعهم في ذلك أمور :

* **منها :**

الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ؛ بل جميع الرسل ، من تحقيق التوحيد ، وقطع أسباب الشرك ، فقلّ نصيبهم جداً من ذلك ، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة ، ولم يكن عندهم من العلم ، ما يبطل دعوته ، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعصموا بقدر ما معهم من العلم .

* **ومنها :**

أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عبّاد الأصنام ، من المقابرية ، على رسول الله ﷺ ، تناقض دينه ، وما جاء به ، كحديث : « **إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور** » ، وحديث « **لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه** » ، وأمثال هذه الأحاديث الموضوعة التي هي مناقضة لدين الإسلام ، وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضُلاَّل ، والله بعث رسوله بقتل من حسّن ظنه بالأحجار . وجنّب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق .

* **ومنها :**

حكايات حكيت لهم عن تلك القبور :

أن فلانًا استغاث بالقبر الفلاني في شدة ، فخلص منها . وفلانًا دعاه في حاجة ، فقضيت له . وفلانًا نزل به ضرٌّ فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره .

وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره[١] .

وما علموا أنه استدراج من الله لهم ، وعبث من الشياطين بهم . .

* **ومنها :**

إضفاء هالة مزيفة من التقديس على شيوخ المتصوفة وأوليائهم من خلال المبالغة في ذكر ونشر خوارقهم ـ المزعومة ـ وكراماتهم المكذوبة « ليرفعوا بها ما للشيوخ والأولياء من مكانة ومنزلة في نفوس الأتباع ، ويحملوهم على الإذعان لهم وتقديسهم وتعظيمهم لدرجة العبادة .

فكان من نتائج هذا الاهتمام ، أن حملوا شيوخهم على طرق كل باب ، بحثًا عن الخوارق لعلمهم أن الصوفي كلما كان أكثر خوارق وأشد اتصافًا بالمدهشات ؛ كان أعظم عند الناس»[٢] . وذلك كي « يستجلبوا منهم النذور ويستدروا منهم الأرزاق ويقتنصوا منهم النحائر ويستخرجوا من عوام الناس مايعود عليهم وعلى من يعولونه ، ويجعلون ذلك مكسبًا ومعاشًا »[٣] .

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان ، ابن القيم ، ١/ ٢١٤ـ ٢١٥ .

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لوح ، ٢/ ٢٩٣ .

(٣) الدر النضيد ، الشوكاني ، ص ٢٧ .

* ومنها :

الجهل بحقيقة التوحيد ، وما يضاده ، حيث اختزل كثير من المفكرين الدعاة والجماعات توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية ، وجعلوه الغاية العظمى ، ولذا لا غرو أن تجد كثيراً منهم إذا تحدثوا عن التوحيد ، فلا يعرفون عنه إلا توحيد الحاكمية ، وحشد الأدلة العقلية والنقلية على إثبات وجود الرب ، وأنه الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت [1] ، . . . إلخ .

أما توحيد الأسماء والصفات ، ومنهج الإيمان بها ، والحديث عن توحيد العبادة ، ومعرفة ما يضاده ، من البدع والشركيات المنتشرة بين قطاع كبير جداً من المسلمين . كشرك القبور وغيره ؛ فإن هذا لا يتطرقون له مطلقا . . وفاقد الشيء لا يعطيه !

* ومنها :

الحيلولة بين الدعوة السلفية وإيصال دعوتها إلى الناس كافة ، من خلال خصومها أدعياء العلم ، وهم كثير لا كثرهم الله ، ولا يكاد يخلو منهم بلد من بلدان العالم الإسلامي ، واقرأ ـ إن شئتَ ـ الموسوعة القيّمة بعنوان ( كتب حذر منها العلماء ) لأبي عبيدة مشهور بن حسن ـ حفظه الله ـ لتقف على مئآت الكتب التي تقدح وتطعن في الدعوة السلفية وبعلمائها ، تلبيساً للعامة ، وإقراراً لهم على باطلهم ، وجعل هذا سلاحاً بيد الخرافيين

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ماينزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ؛ لم يكن موحداً ، بل ولا مؤمناً حتى يقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له » انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٢٦ .

يحاربون به السلفيين .

ومن هؤلاء الخصوم ـ أيضًا ـ : بعض المؤسسات والجهات القائمة على الأوقاف في العالم الإسلامي التي تقوم بالحيلولة دون انتشار الدعوة السلفية في أقطارها ، محافظة على المردود المالي الكبير الذي يجنونه من صناديق أضرحة أولئك الأولياء المنتشرين في تلك الأقطار ، والذي يشكل دخلاً قوميًا ضخمًا لتلك الدول !!

وإلا لو قدر للدعوة السلفية أن لا تتعرض لما تعرضت له من ضغوط مختلفة ، من جانب خصومها وأعدائها ، لتمكنت من نشر التوحيد الخالص ، الذي سيوحد المسلمين كما وحدهم من قبل . ولذا يقول أحد أعدائها ـ والحق ما شهدت به الأعداء ـ وهو الدكتور طه حسين : « . . . ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا ( المذهب ) [١] ، وحاربوه في داره ، بقوى وأسلحة لاعهد لأهل البادية بها ؛ لكان من المرجو جدًا أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ؛ كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول » [٢] .

ونتيجة لما ذكر فقد استشرى هذا الباطل واستفحل حتى عمّ وطمّ ، في ظل انصراف رجال الدعوة والتوجيه ـ ممن زعموا أنهم حاملو راية الدعوة ، إلى الإنشغال بفرعيات وجزئيات ، اعتقدوا أنها أولى وأهم ، فنتج عن قلة

---

(١) وكما لا يخفى فإن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ دعوة إصلاحية على منهج السلف ـ رضي الله عنهم ـ وليست مذهباً كما يعتقده معظم المسلمين اليوم ، الملبس عليهم زورًا وبهتانًا .

(٢) الحياة الأدبية في جزيرة العرب ، طه حسين ، ص ٣٧ .

الخوض في هذا الموضوع أن صار الشرك أخفى المعاصي معنى ، وإن كان أجلاها حكمًا ، فلظهور حكمه وكونه من الضروريات ترى المسلمين عامتهم يتبرؤون منه ، ويغضبون كل الغضب إن نسبوا إليه ، ولخفاء معناه وقع من وقع منهم فيه ، وهم لا يشعرون ، ثم وجدوا من أدعياء العلم من يسمي لهم عقائد الشرك وأعماله ، بأسماء تدخل في عقائد الإسلام وأعماله ، ثم يدافع عنهم ، ويحشرهم في زمرة أهل السنة ، ويشنّع على العلماء الناصحين ، ويقذفهم بالوهابية ، حتى إنه ليخيل إليك أن العامي الواقع في حمأة الشرك جهلاً واغترارًا أقرب إلى السنة والاستقامة من أولئك العلماء النصحاء المؤتسين برسول الله ﷺ عن خبرة وصدق[1] .

---

(١) انظر : رسالة الشرك ومظاهرة، مبارك الميلي ، ص ٢١ .

# حتى لا نخادع أنفسنا

## واقع الأمة ... وواقع العمل الإسلامي

## واقـــع الأمـــة

هذا هو واقع الأمة الإسلامية من ناحية بعدها عن العقيدة الصحيحة ، وهو واقع محسوس ، ومشاهد ملموس ، وليس من السهولة على المسلم ، أن يتحدث عن هذا الواقع دون أن يصاب بحشرجة ، يصعب معها أن يواصل تشخيصه لهذا الداء العضال ، الذي حول معظم مجتمعاتنا الإسلامية ، إلى حالة يرثى لها ، من التخبط العقدي ، والتخلف الحضاري ، فأصبحت الأمة مضرب المثل في التردي في كل شيء [1] ، لا من الناحية العقدية ـ فحسب ـ وإن كان هو الأخطر والأهم ؛ بل من جميع النواحي ، فبتأثر الناحية العقدية سيتأثر ما بعدها لزامًا ، سواء من الناحية السياسية ، أو السلوكية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو الثقافية . . . إلخ .

وإنما ذكرت تلك اللمحة الموجزة عن الصوفية وخطورتها وانتشارها الواسع ، كمثال فحسب ، وإلاّ فالأمة تعاني من علل عقدية أخرى ، لا تقل خطرًا عن الصوفية الغالية ، وهي منتشرة كانتشاره إن لم يكن أعظم ، ومن له أدنى اطلاع بأحوال هذه الأمة ، فإنه يدرك ذلك جيدًا ، ومن ذلك :

السحر ، والشعوذة ، والكهانة ، والعرافة ، والتنجيم ، والتمائم ، والرقى . . . ناهيك عن الجهل التام عند بعض المسلمين بأمور العقيدة المختلفة . . كضعف الولاء والبراء ، إن لم يكن انعدامه عند قطاع عريض من المسلمين . . . إلى غير ذلك من التصورات الخاطئة والمفاهيم العقدية

---

(١) ومع هذا فإن البشائر كثيرة ، والفأل مطلوب ، والخير موجود ـ بحمد الله تعالى ـ في هذه الأمة إلى قيام الساعة .

المنحرفة . . .

وحينما نذكر مثل هذه المظاهر ـ المؤلمة على نفس كل مسلم ـ فإني أعوذ بالله أن يكون ذلك من قبيل سوء الظن بالمسلمين ، أو أن أتهم أحداً منهم بالشرك أو الكفر ، قبل إقامة الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه . وإنما سقت مثل هذه المظاهر الشركية ؛ لبيان واقع الأمة ومدى حاجاتها الماسة إلى التوحيد ، وليس للحكم على الناس ، فذلك أمر آخر .

ولهذا أؤكد وأقول :

إن الكشف عن أمراض المسلمين وعللهم ، والبحث في أسباب ضعفهم وتخلفهم ، ليس عيباً ولا خطأً ؛ إنما العيب والخطأ ؛ في المجاملة والطمأنة ، وانتحال الأعذار والمسوغات لتهوين الشرك وشيوعه ، والتقليل من انتشاره وذيوعه ، ومهما قيل من ذلك ، فإنه لن يغير من الحقيقة شيئاً ، فمجتمعات المسلمين اليوم ، لا تعاني من شيء كمعاناتها من البعد عن العقيدة الصحيحة ، والتي هي السبب الأول في تخلف معظم المسلمين وانحطاطهم .

فبيان الواقع لازم ، لتشخيص الداء الذي ينخر في جسم الأمة ، لنصف له الدواء الناجع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ « **فما أنزل الله داءً إلاّ وأنزل له شفاءً** »(١) بدلاً من أن نتخبط في صرف الأدوية تلو الأدوية ، دون أي نتيجة تذكر ، اللهم إلا زيادة الضعف واليأس من العلاج .

وتخيل ـ أخي المسلم ـ حال تلك المجتمعات الإسلامية فيما لو تركت هذه العلل والأمراض العقدية ، هذا النشء الذي ظهر وسيظهر ليجد الجو

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٥٨ .

مهيأ أمامه وهو يرىٰ ذلك الباطل ويسمعه ولا يرىٰ ولا يسمع من ينكره !!

بل المصيبة الكبرىٰ أن لهذا الباطل دعاة يروجون له ، ويدعون إليه ، دون أي مقاومة تذكر ، فانقلبت الموازين واختلت المعايير ، فطفح الكيل وبلغ السيل الزبىٰ .

فإلىٰ الله المشتكىٰ من زمان عصفت فيه روح الجهالة ، وتلاطمت فيه أمواج الضلالة ، وخرقت فيه سفينة الشريعة ، وتعذر علىٰ العارفين الأمر بالمعروف ، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف[١] .

وآه لأمة تدثرت بثياب الغفلة . . . وهان عليها دينها ومصدر عزها . . . كيف فات هذا وأمثاله ، علىٰ أمة كتاب ربها يقول ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . .** ﴾[٢] .

وكيف تصبر علىٰ هذا الشرك المُخزي ورسولها ﷺ ينادي « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** »[٣][٤] .

---

(١) انظر : روح المعاني ، للآلوسي ، ١١/ ٩٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٣) صحيح مسلم : ١/ ٦٩ ، رقم ( ٤٩ ) .

(٤) انظر : العالم الإسلامي هموم وآمال ، محمد التويجري ، ص ٤٣ ( بتصرف ) .

## العمل الإسلامي وطريق الإنقاذ

هذا هو واقع الأمة . . . وإزاء هذا الواقع الأليم المهين ، انطلقت ومنذ أكثر من نصف قرن دعوات على شكل جماعات ، هنا وهناك ، وكلها تنشد الإصلاح ، والعمل على عودة هذه الأمة إلى مجدها التليد ، وما ضيها العريق .

**قل هو من عند أنفسكم :**

وقبل أن نبدأ بدارسة واقع بعض الجماعات والحركات الإسلامية العاملة على الساحة اليوم، والحلول المطروحة لإنقاذ الأمة ؛ **فإننا بادئ ذي بدء لا نقلل من قيمة التحديات والمؤامرات ، التي تواجه أمتنا ، ومحاولة إجهاض كل عمل إسلامي يسعى للنهوض بها ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾** (١) .

**إلا أننا ـ في الحقيقة ـ نبالغ كثيراً في الحديث عن هذه المعوقات** ، ونلقي باللائمة على الإستعمار تارة ، وعلى الصهيونية العالمية ومن يسير في فلكها تارة أخرى ، ونحملهم مسؤولية تخلف هذه الأمة وانحطاطها ، ولكن الحقيقة التي يجب أن نقف عندها طويلاً أن هؤلاء الأعداء لايخرجون عن كونهم أداة منفذة لأمر نحن تسببنا فيه « فإن الانحطاط بعد الارتفاع عقوبة وزوال نعمة ، وقد بين سبحانه وتعالى السبب الأساس لزوال النعم **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾** (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٧ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٥٣ .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(١) .

فالسبب الأساس لانحطاط المسلمين بعد ارتفاعهم وتقدمهم لابد أن يكون من عند أنفسهم »(٢) .

وإلىٰ هذا يشير القرآن الكريم في كثير من آياته :

﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُم ﴾(٣) .

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٤) .

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(٥) .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٦) .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٧) .

﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم

---

(١) سورة الرعد ، آية : ١١ .

(٢) من كلمة للدكتور جعفر شيخ إدريس ، ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، في كتاب « الإسلام والحضارة » ص ٧٢٠ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٦٥ .

(٤) سورة الشورىٰ ، آية : ٣٠ .

(٥) سورة النساء ، آية : ٧٩ .

(٦) سورة النحل ، آية ١١٢ .

(٧) سورة الروم ، آية : ٤١ .

بذُنُوبِهِم ﴾ (١) . فهذه سنن الله في خلقه ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا ﴾ (٢) . ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (٣) .

ولذا فإننا بحاجة ماسّة ، إلى مراجعة شاملة لأوضاع هذه الأمة ، والحلول المطروحة لعلاجها ، بدلاً من أن نلقي بتبعات تقاعسنا على الآخرين ، ونجعل من أعدائنا شماعة لأخطائنا .

« وما لم نصل إلى مرحلة الاعتقاد الفعلي ، بأن العلل والخلل كامن فينا ، لنبحث عنه ، وندرك أبعاده وأسبابه » (٤) فستظل جهود البناء جهوداً عاطفية ضائعة ، لاتكاد ترى آثارها في التغيير والبناء الجاد ، وستستمر عوامل العلل والخلل التي أصابت العمل الإسلامي .

والأمة لازالت على وضعها المؤلم ، والعمل الإسلامي ، لم يقدم لها ـ بعد ـ الشيء الذي يجعلها تتزحزح من مكانها . فما زلنا في مؤخرة الركب ، بعد أن كنّا قادة له .

**وآلمني وآلم كل حر ... سؤال الدهر أين المسلمونا**

**ترى هل يرجع الماضي فإني ... أذوب لذلك الماضي حنينا**

**ولن تعود الأمة إلى ماضيها ، إلاّ بتصحيح مسيرتها ـ فهي الأمل بعد الله ـ ولن يتم تصحيحها ، إلاّ بقول الحق والتجرد التام له وإن كان مرّاً ، فمن مر الدواء يكون الشفاء ، بإذن الله .**

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٠٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٦٢ .

(٣) سورة فاطر ، آية : ٤٣ .

(٤) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، عمر عبيد حسنة ، ص ١٠٩ .

## أهم العوامل التي أثرت في مسيرة العمل الإسلامي

المسيرة الإسلامية يمثلها جماعات وحركات كثيرة ، ولكل منها نظرة تختلف عن الآخر في تشخيص الخلل الذي أصاب الأمة ، وقبل أن أشرع بدراسة الحلول المطروحة لإنقاذ هذه الأمة ـ من وجهة نظر بعض الجماعات والحركات ـ ؛ نتوقف قليلاً عند أهم العوامل التي أثرت في مسيرة العمل الإسلامي وأصابته في مقتل ، وكانت السبب الأول في خلله واضطرابه ، وقصوره وانحرافه ، ومن أهمها :

* **إهمال العلم الشرعي :**

إن من أعظم الأمراض المزمنة ، التي تعاني منها معظم الجماعات والحركات : **غياب العلم الشرعي بين قادتها ومنظريها وأربابها** ، فمازالت هذه التنظيمات عازفة عن إنتاج أو استقطاب الكفاءات العلمية القادرة على تأصيل القضايا الدعوية ، وذلك لاستمرارها في تقرير مناهجها ، على ماسبق وأن رُسم لها ، من الاستحسانات (العقلية) والاجتهادات (الفردية) دون أن تقدم الجديد من التطوير أو التغيير الشرعي ، الذي يضبط عملها ويوجه مسارها .

فلو التفت إلى تجربة أي تنظيم منها ؛ فلن تجد إلاّ الطرح الفكري المكرر ، أو التمجيد المبالغ فيه لقادتها ، أو اجترار القصص والذكريات التي وقعت لروادها ، أو إفراد الشروح والتعليقات المطولة لكلام قادتها الأوائل وتأصيل آرائهم وأفكارهم على اعتبار أنها مسلمات لايعتريها نقص أو خلل . . . وهلمّ جرّا .

**وبغياب المنهج العلمي الشرعي ، غاب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع الأمة ، فأصبح لكل جماعة غاية ، ولكل حركة وجهة ، فغلبت جوانب ( مهمة ) ، وأهملت جوانب ( أهم ) ، لمجرد آراء شخصية ، واجتهادات عاطفية ، فانحرفت المسيرة أو كادت .**

* **الاختلاف والتفرق :**

إن مما يؤسف له أن العمل الإسلامي ، لايكاد يذكر ـ اليوم ـ إلا ويبرز بشكل لافت للنظر ، ظاهرة تعدد الجماعات والحركات العاملة للإسلام « بل الجماعة في نفسها متعددة إلى جماعات غالباً ، والتعدد دليل على الاختلاف ، وتعدد التعدد دليل على ضراوة الخلاف ، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها كل جماعة ، وتدعوا إليها ، وتقيم جماعتها عليها ، وهذا يناقض قاعدة الشرع المطردة من أن الحق واحد لايتعدد »(١) . ومرد هذا الخلاف ـ بالدرجة الأولى ـ تخبط هذه الجماعات والحركات ، واختلافها حول مصدر التلقي الذي منه تستقي منهج الدعوة والتغيير ، فكل يزعم أنه يدعو إلى الكتاب والسنة ، ولكن على ضوء فهمه الخاص ، فكثر التفرق والاختلاف حتى طفح على الصحف والمجلات .

فكان من أبرز إفرازات هذه الظاهرة ، مانشاهده اليوم ، من التنازع والاضطراب ، في المسيرة والنتائج ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم** ﴾(٢) .

وهذه الجماعات إن لم تلتق على منهج واضح ، ومستقىً من مصدر

---

(١) حكم الانتماء ، بكر أبو زيد ، ص : ١٤٢ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

واحد ـ يصحح الانحراف ، ويعالج العيوب ، ويوحد الجهود ـ فإن الخلاف سيمتد والفرقة ستزداد .

وواقع أمتنا ، يوجب على أهل الغيرة ، أن يبذلوا الجهود الكبيرة ، والمحاولات الكثيرة ، لرأب الصدع وجمع الشمل ، فقد كفانا التشرذم والتحزب .

فوحدة الصف اليوم ، هي ضرورة الوقت الذي يجب أن نلتفت ونسعى إليه . ولن يتحقق ذلك طالما أن كل جماعة وكل حزب سيعمل على ضوء ( **فهمه الخاص** ) للدعوة إلى الكتاب والسنة .

فما لم تلتق هذه الجماعات والحركات، على ضوء ( **فهم السلف الصالح** ) للكتاب والسنة فإنها لن تلتقيَ أبدًا .

* **التحـزب والانغـلاق :**

ونتيجة طبعية لهذا التفرق ـ الذي هو أول معول يضرب في وحدة العمل الإسلامي ـ تحزبت كل جماعة وحركة وانغلقت على نفسها ، فانقلبت الوسيلة ( التنظيم ) إلى غاية بحد ذاتها ، وأصبح « تبرير كل شيء من الكسب والخطأ في سبيل حمايتها ، وهذا ما جعلها أجسامًا منفصلة عن الأمة وجعل لها أهدافًا خاصة بها ، وأدى إلى الانغلاق ، والتحزب ، والإعجاب بالرأي ، وإشاعة الإرهاب الفكري ، بحيث لم يبق مكان للحوار ، والمناقشة ، والشورى ، إلى درجة لم تسمح معها بعض هذه التنظيمات ، بأي فكر معارض ، أو ناقد ، أو مقوم ، الأمر الذي أدى إلى نزف العقول المستمر ، وابتعاد الكثير من الإمكانات العلمية عن التنظيمات

الإسلامية ، واستمرار مراوحتها في مواقعها ، وتكريس الخطأ ؛ مما أدىٰ لأن يكون الكثير من الأتباع نسخة مكررة عن القائد أو الزعيم أو الشيخ ، وإحكام الأسوار ( الحزبية ) التي تحمي الضعف ، وتكرس الخطأ ، وفي ذلك نقض للمنطق ، والتاريخ ، والواقع ، والمستقبل ، وتنكر لمفهوم الأخوة الإيمانية » (١) !!

**أين الخلل ؟**

وبهذا التعدد والتنوع في المقاصد والغايات ، أصبح كل منهم يأخذ جانبًا من الجوانب ، ويرىٰ فيه إنقاذ الأمة من كبوتها ، ويعظم هذا الجانب ويركز عليه ، ويقلل من شأن الجوانب الأخرىٰ .

وكل جماعة ترىٰ أن هذا الجانب ـ الذي ركزت عليه ـ هو سفينة نوح التي ستنقذ المسلمين ، فمن ركب معهم نجا ، ومن تخلف عنهم غرق !!

ولكثرة هذه الجماعت والحركات ، فسأركز حديثي علىٰ جماعتين ـ فحسب ـ **لكونهما الأكثر انتشارًا ، والأكبر أثرًا بين شباب هذه الصحوة** ، لنلقي الضوء علىٰ نظرة كل منهما للخلل الذي أصاب هذه الأمة ـ من وجهة نظرهما ـ ومن ثم استحداث المناهج ، التي ترىٰ فيها تلك الجماعتين ، العلاج الناجع لذلك الخلل !!

ثم أعرّج بعد ذلك إلىٰ مناقشة هذه المناهج ، ومن يسير في فلكها ، علىٰ ضوء منهج أهل السنة والجماعة ، الذي يملك مقومات التغيير والتبديل ، حسب النواميس الكونية ، والسنن الشرعية .

---

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، عمر عبيد حسنة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

وحينما أناقش مثل هذه المناهج الدعوية ، فإن هذا لايعني التقليل من جهود تلك الجماعات ، أو استنقاصها ، فإننا لانبخسهم حقهم ، **ووجود بعض الأخطاء والزلات لايعني إنكار بقية الجوانب المضيئة عند تلك الجماعات ، فإن كل جماعة لا تخلو من إيجابيات ، وسلبيات . فأما الإيجابيات فهي محل اتفاق فيما بيننا ، ونسأل الله تعالى أن يثيبهم على ما قدموه ـ ويقدمونه ـ لخدمة الإسلام والمسلمين .**

**وأما السلبيات فيجب تصحيحها وتقويمها ، ولن يتم ذلك إلا بذكر بعض مظاهر العلل والأمراض التي من خلالها ، نشخص الداء ، الذي أصاب مسيرتنا ، وأدى إلى وهنها وقصورها ، أداءً للأمانة ، وإبراءً للذامة ، وإعزازًا للأمة .**

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١) .

---

(١) سورة هود ، آية : ٨٨ .

## جماعة الدعوة ( التبليغ )
## ومثال لغياب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع الأمة

هذه الجماعة ترىٰ أن الخلل الذي أصاب أمتنا ، **إنّما هو بسبب انحراف سلوكها ، وانغماسها في الشهوات والترف والماديات فحسب !!**

ولذلك فقد انصرفت « إلىٰ التربية علىٰ الفضائل ، وبعض العبادات الأساسية ، والدعوة إليها ، وربط الناس بالإسلام عن طريقها »(١) .

**وذهلت ذهولاً أعمى عن الخلل الأكبر ، والخطر الأعظم ، الذي ابتليت به هذه الأمة ، وكان السبب الأول في ذلها وتخلفها ، ألا وهو الخلل العقدي الذي سبق بيان شيء منه .**

**كلمة حق :**

للحقيقة والتاريخ ، فإن لهذه الجماعة دوراً بارزاً في إصلاح كثير من المسلمين ، حيث أقلع كثير منهم عن فسقهم وفجورهم ثم أصبحوا من دعاتها يواصلون ليلهم بنهارهم في العمل الدؤوب لهذا الدين ، حتىٰ إن هذه الجماعة استطاعت أن تغطي بلاد العالم كله بالدعوة والتبليغ ، فوصل بعضهم إلىٰ مناطق نائية ، لم يستطع غيرهم أن يصلها ، بل إنهم دخلوا إلىٰ ( فلسطين ) حيث الاحتلال الإسرائيلي ، دعوة لله تعالىٰ ، وخروجاً في سبيله .

وتمتاز هذه الجماعة بالتواضع في رحلاتها ، والإخلاص في دعوتها ،

---

(١) في منهجية الدعوة الإسلامية ، أحمد سلام ، ص ٢١ .

والنظام في سفرها ومأكلها وخروجها . ومقر عملها المساجد التي تنزل فيها، وتذهب إلى المقاهي وغيرها لتأتي بأهلها إلى المساجد لأداء الصلاة ، ويُلقي أحد أفرادها بيانًا على المجتمعين في المسجد، وهذا عمل طيب» (١) .

ولولا أن دعوتهم قائمة على جانب واحد فحسب ، لرجونا أن يتحقق على يديهم الخير الكثير للإسلام والمسلمين ، وأن يكونوا سببًا في إعزاز دينهم ونهوض أمتهم ؛ إلا أن ذلك لن يتحقق طالما أ ن دعوتهم مقتصرة على الجانب السلوكي الروحي فحسب ، ومنصرفة عن الاهتمام بالجوانب الأخرى ، والتي هي أولى وأهم من ذاك الجانب ، وعلى رأسها الجانب العقدي ، فمن دخل معهم فإنه لن يعرف من الإسلام إلا ذاك الجانب ، وسيصبح هو غايته ومقصده . أما توحيد العبادة وإفراد الله تعالى بذلك ومعرفة أسمائه وصفاته ، ومعرفة ما يناقض ذلك كله ؛ فإنه لا يعرف عنه شيئًا ؛ بل وليس من اهتماماته . لأنه هكذا رُبِّي ، وهكذا عُلِّم !! .

**وقفات عند منهج تلك الجماعة :**

**أولاً** : بالإضافة إلى ما سبق بيانه ، فإن من أولى ملاحظاتنا على منهج هذه الجماعة أن دعاتها ( وكلهم كذلك ) يدورون حول مبادئ ستة لايتجاوزونها إلى غيرها ، بل ولا يفهمون سواها ، وهذه المباديء يسمونها الصفات الست ، وهي :

---

(١) كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم ، محمد بن جميل زينو ، ص ٥٠ ، وارجع إليه فإنه كتاب جيد ذكر فيه مؤلفه ـ حفظه الله ـ تجربته مع هذه الجماعة بما لها وما عليها .

**١ ـ الكلمة الطيبة ، لاإله إلاّ الله محمد رسول الله :**

ويقصدون بها ، إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء ، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله ؛ أنه لاخالق إلا الله ، ولا رازق ولا مدبر إلاّ الله . . . إلي غير ذلك من أنواع توحيد الربوبية ؛ الذي به يتحدثون وحوله يدندنون فقط ، وذلك لكون هذه الجماعة تضم في صفوفها : الأشعري ، والقبوري ، والماتريدي ، والصوفي ، بل والسلفي أحيانًا . . . وهؤلاء جميعًا لايتفقون إلاّ حول هذا النوع من التوحيد فقط ، ومصلحة الدعوة عندهم تقتضي ألاّ تتحدث عن أي شيء يسبب الفرقة أو الاختلاف أو النفور من الجماعة ، ولهذا لا يتعرضون مطلقًا لتوحيد الأسماء والصفات ، ولا لتوحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة ؛ لا في دروسهم الخاصة ولا في بياناتهم العامة !! وهذا سر خلافنا مع تلك الجماعة .

**٢ ـ إقامة الصلاة ذات الخشوع .**

**٣ ـ العلم والذكر** ، والعلم عندهم نوعان :

علم فضائل : وهو العلم الذي يقتصرون عليه في جلساتهم الخاصة وبياناتهم العامة .

علم مسائل : وهذا لايتعرضون له مطلقًا ، بل ويُنفّرون أتباعهم من تعلمه ، على أنه ـ بزعمهم ـ طريق للكبر والخلاف .

**٤ ـ إكرام كل مسلم .**

**٥ ـ الإخلاص .**

**٦ ـ النفر في سبيل الله** [١] . ولا يقصدون به الجهاد في سبيل الله ؛ بل هو معطل عندهم لحين وجود إمام للمسلمين ، ولكن يقصدون به الخروج في سبيل الله !!

وهذه المبادئ الستة التي حددتها هذه الجماعة لأفرادها وأتباعها ، ثابتة عليها ، لم تتزحزح عنها منذ تأسيسها حتى يومنا هذا ، مقيدة بها أفرادها ، ملزمة إياهم بالسير عليها ، بحيث لايفهمون غيرها [٢] ؛ بل ويحاربون ما سواها ، ولا أدري أين وجدت قيادات تلك الجماعة ذلك التحديد في الإسلام !!

إن تحديد الدعوة في إطار هذه المبادئ الستة ـ فقط ـ وجعلها كل الدين ، أمر يصطدم ببدهيات الدين . . .

وما هذه الستة إلا جزء من نيف وسبعين شعبة في هذا الدين ، وتحت كل شعبة مئآت من الأحكام التي يهدف إليها الدين ، حتى تسير البشرية على مقتضى أحكامه وتعاليمه [٣] .

**ثانيًا** : يمنعون أفرادهم من التوسع والاطلاع [٤] !!

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص ١١٧ .

(٢) وهذه المباديء يفهمونها على ضوء فهم مؤسس تلك الجماعة لها ، لا على ضوء فهم السلف لها ؛ والآلهان الأمر ولسهل الخطب !! .

(٣) انظر : الطريق إلى جماعة المسلمين ، حسين جابر ، ص ٣٣٠ .

(٤) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

**ثالثًا**: لاترىٰ الجماعة النهي عن المنكر بحال من الأحوال ، معللين ذلك بأن المرحلة عندهم هي إيجاد الجو الصالح فيمن استجاب بالدخول في جماعتهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المعرقلات في هذه المرحلة [١] !! لدرجة أنه يوجد بجوار مركزهم في دلهي ، ومنذ أكثر من نصف قرن طواغيت من الأضرحة يرتادها فئام من الناس ، ولم تتأثر بوجودهم ؛ لأن تصحيح العقيدة ليس من أهدافهم . بل إنه ليسوؤك أن تعلم أن دعاة تلك الجماعة يخرجون إلىٰ المساجد المبنية علىٰ القبور ، ويؤدون صلوات الفرض والنفل فيها ، ويقيمون بها يأكلون ويشربون وينامون ، وهم يرون القبوريين يستغيثون بأصحاب الأضرحة الأموات ، فلا يجيز لهم منهجهم الانكار عليهم ، أو نصحهم ، أو الاعتراض عليهم ، وذلك كله باسم مصلحة الدعوة وتأليف القلوب [٢] !!!

**تساؤلات حول منهج الجماعة :**

بعد الحديث عن منهج تلك الجماعة ، القائم في دعوته إلىٰ الإسلام بأخذ جزء منه والدعوة إليه علىٰ أنه أس الإسلام ولبه ، وتعطيل التوحيد وكثير من الأحكام لأجله ، ألا يحق لنا بعد ذلك أن نتساءل :

* هل أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ، لأجل أن تستقيم أخلاق الأمة ، ويقلعوا عن كثير من الذنوب والمعاصي فحسب ؛ بينما إشراك آلهة أخرىٰ مع الله تعالىٰ مسألة ثانوية لاينبغي أن تشغلنا عن ذاك الواجب الأهم في نظرهم !

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢) انظر : وقفات مع جماعة التبليغ ، نزار الجربوع ، ص ٥٩ .

* أيهما أشد خطراً على الإنسان في آخرته : إذا لقي ربه على كثير من الذنوب والمعاصي ، وبتوحيد خالص سليم من الشوائب والأكدار . أم إذا لقيه بأخلاق عالية ، وبأعمال صالحة ، لكنه لايعرف عن خالقه إلا أنه الرازق المحي المميت الخالق [١] . . . بينما توحيده في ألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، يناقضها في كثير من أعماله وأفعاله !! أين الخلل في هذه الأمة ؟ هل هو في سوء أخلاقها ، وانكبابها على شهواتها ؟! أو في سوء فهم عقيدتها ؟!

* هذا الشرك الذي يضرب أطنابه في أغلب الأماكن التي يحلون بها ، ما نصيبه من الدعوة والتبليغ ؟! أم أن مصلحة الدعوة تقتضي عدم التعرض لمثل هذا الأمر الجلل ؟! [٢] .

* ولماذا يحصر الإسلام عندهم في بعض العبادات والأذكار ، وإكرام المسلمين والتلطف بهم ، والزهد في الدنيا ، والدعوة إلى ذلك ـ فحسب ـ ؟

هل يعتقدون أنهم بذلك ، قد قاموا بالإسلام خير قيام ؟!

* وهل تبرأ ذممهم بمجرد الدعوة إلى بعض الجوانب ( المهمة ) من

---

(١) توحيد الربوبية هذا يردده كل من ينتسب إلى تلك الجماعة على أنه هو التوحيد فحسب ، بينما هذا النوع من التوحيد لا ينكره أحد من الناس ، حتى كفار مكة يؤمنون به ـ كما تقدم ـ ولذا فهم يدندنون حوله لأنه يجمع ولا يفرق !!! .

(٢) مصلحة الدعوة عندهم عدم الخوض في توحيد الألوهية ومحاربة الشرك لأن هذا ـ كما يزعمون ـ هو سبب تحجيم الدعوة السلفية وعدم انتشارها وقبولها في العالم الإسلامي !! وكذا عدم الخوض في الأمور السياسية بتاتاً لأنهم يرون أن هذا هو سبب فشل جماعة الإخوان المسلمين ، ولذا فهم يرددون مقولتهم التي اشتهروا بها ( السياسة أن تترك السياسة ) !! ولعل هذا نتيجة ميلهم إلى التصوف الذي دفعهم إلى مثل هذه المبادئ .

الإسلام ، وترك الجانب ( الأهم ) منه ؟!

وما قيمة تلك الأعمال ـ مهما كثرت وتنوعت ـ إذا أهمل الجانب الأهم منها ؟! أوَ ما علم أولئك الدعاة ؛ أن العبادة لاتقبل إلاّ بالتوحيد الخالص الذي لايشوبه شائبة ، فإذا كانت الطهارة شرطًا لقبول الصلاة ؛ فإن التوحيد شرط لقبول الأعمال ـ كل الأعمال ـ وإلاّ كانت كما قال الله تعالىٰ عنها ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ (١) .

* فلماذا الإصرار إذًا بالإعراض عن هذا الأمر الجلل الذي من أجله خلق الله السموات والأرض ومن فيهنّ ، متجاهلين واقع الأمة المرير من ناحية بعدها عن العقيدة الصحيحة ، وحاجتها الماسّة إلىٰ إصلاحه والبدء به ؟!

* أوَ يظن أولئك الدعاة أن هذا المنهج سيخرج الأمة من وهدتها التي انتكست إليها في عصرها الحاضر؟!

أو أنهم بهذا المنهج سيقيمون راية الدين ويعلون مناره ؟!

**إن تلك التصورات الخاطئة ، والنظرات القاصرة ، ما نشأت إلا في ظل غياب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع هذه الأمة .**

**تنبيه لابد منه :**

**ما سبق لاينطبق تمامًا على كل من ينتسب إلى تلك الجماعة ، وبالذات ممن يعيشون على أرض هذه الجزيرة ، وذلك لأن التوحيد سابق لدخولهم الجماعة ... ولتأثرهم بهذه البيئة المباركة ... وبعلمائها الناصحين المخلصين ...**

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٢٣ .

ولهذا فإننا نحبهم في الله ، ونزورهم في اجتماعاتهم ، لما نعلم من إخلاصهم وصدقهم ، ونقدر جهودهم الطيبة المشكورة ، وأعمالهم الدعوية المحمودة ، إلاَّ أن بعضهم لايزال متقيداً بمنهج تلك الجماعة ، المخالف في كثير من أمُوره لمنهج أهل السنة والجماعة ، مما جعل كثيراً من النّاس ينفر من دعوتهم ، ويتحاشىٰ صحبتهم ، ونسأل الله تعالىٰ أن يوفقهم لاستدراك ذلك ، وترك التحزب المبالغ فيه لجماعتهم ، وتكميل جوانب القصور عندهم بالعلم الشرعي ، الذي لاتقوم أي دعوة إلا به ، والحرص علىٰ تحري منهج أهل السنة ، الذي يجب علينا جميعًا ـ نحن المسلمين ـ أن نفتخر بالانتساب إليه ، والسير علىٰ هداه ؛ لأنه الحق الذي ارتضاه الله لنا ، واصطفانا من بين كثير من خلقه لنحمل رايته ، ونذب عنه ، لا أن نتخلىٰ عنه إلىٰ مناهج بدعية ، قامت علىٰ المكاشفات والرؤىٰ المنامية .

## جماعة الإخوان المسلمين
## ومثال أخر لغياب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع الأمة

وهذه الجماعة : **اعتقدت أن هذا الواقع الذي تمر به الأمة ، من التخلف ، والبعد عن الدين ، إنما هو بسبب غياب الخلافة الإسلامية !!**

وهذا الواقع لايمكن تغييره ـ كما يزعمون ـ إلا بقيام الدولة الإسلامية ، ولهذا فقد اهتمت تلك الجماعة بالجانب السياسي ، وجعلته غايتها ، فاستغرق معظم وقتها ، وجهدها ، وطاقتها ، وانبرىٰ دعاتها ، وكتّابها ، ومنظروها ، يدافعون عن هذا المنهج ، ويبررونه بشتىٰ المسوّغات ، العقلية والعاطفية .

فبدأت هذه الجماعة ، في المشاركة في ( الانتخابات التشريعية ) والدخول في ( المجالس البرلمانية ) فأصبح هذا أهم غاياتهم وأهدافهم ، فوظفوا له كل جهودهم وإمكاناتهم .

ومن أجل هذه الغاية ، فإنهم يرون أن ( مصلحة الدعوة ) تقتضي في هذه المرحلة ، استمالة الجماهير ، وتجميعهم علىٰ اختلاف ( **مناهجهم ، وأفكارهم ، ومعتقداتهم** ) (١) . انطلاقًا من مقولة شيخهم ـ رحمه الله ـ التي

---

(١) انظر : كتاب الملهم الموهوب حسن البنا ، عمر التلمساني ، ص ٧٨ . وكتاب ذكريات لا مذكرات ، عمر التلمساني ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ . وكتاب الموسوعة الحركية ، مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية ، بإشراف فتحي يكن ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ . وكتاب الإخوان المسلمون كبرىٰ الحركات الإسلامية الحديثة ، محمد علي الضناوي ، ص ١٥٠ . وكتاب موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية ، عز الدين إبراهيم ، ص ٥ وما بعدها .

أصبحت أصلاً من أصولهم ( **فلنعمل فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه** ) على ضوء أن الجماعة تعمل وفق المفهوم الشامل للإسلام !!

وفي ظل هذا التوجه ، وحرصًا منهم على وحدة صفوف أولئك الأتباع ـ أصحاب المعتقدات المختلفة ـ فإن الجماعة لاترى الخوض ، في أية مسألة من شأنها أن تحدث خلخلة في الصف ، حتى ولو كانت تلك المسألة من أهم مسائل ( أصول الدين ) كزيارة القبور وما يحدث عندها مما لا يخفى !!

**بل الأدهى والأمرّ أن تلك الجماعة ـ ونقولها بكل مرارة ـ ترى أن الحديث في ذلك الأمر الجلل ، بلبلة فكرية ، وضياع للوقت فيما لايجدي ولا يفيد** [١] !!!

وحفاظًا على هذا المنهج ، فقد أصبحت تلك الجماعة ، تمارس الحجر الفكري على أتباعها لدرجة أنها تقوم باستجواب ، وتجميد نشاط كل عضو من أعضائها يقوم بالاتصال بعالم شهدت له الأمة بالقبول والريادة ـ كالعلاّمة الألباني حفظه الله ـ وتعتبر مجرد الاستماع إليه مخالفة للمنهج ، ومناقضًا للبيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره [٢] !!

أما مشايخ الطرق الصوفية ، ممن أسّسُوا دينهم على القبور ، وحول القبور ، فإن الجماعة تفتح أبوابها وتحتفل بقدومهم الميمون إلى مركزهم العام [٣] !!

---

(١) انظر : كتاب في قافلة الإخوان المسلمون ، عباس السيسي ٢/ ٣٣ .

(٢) انظر نص القرارات الرسمية الصادرة في ذلك ضمن كتاب ؛ الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، لسليم الهلالي وزياد الدبيج ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٣) انظر : كتاب فى قافلة الإخوان المسلمون ، عباس السيسي ٢/ ٢٠٨ .

وكل هذه المزالق والتنازلات ؛ رغبة منهم في استمالة الجماهير ، وكسب تأييدهم ، وتوظيف جهودهم ، لخوض معمعة الانتخابات التشريعية ، والمجالس النيابية !!

وبمثل هذه التنازلات والمخالفات ، فقد سلكت تلك الجماعة ، مسلك بقية الأحزاب السياسية الأخرىٰ ، وليس هذا ـ فحسب ـ بل إنها دخلت في تحالفات مع أحزاب غير إسلامية . فهم اليوم مع هذا الحزب وغداً مع غيره ، ليستفيدوا من أصوات ناخبيهم ومؤيديهم !!

وكل ذلك باسم ( مصلحة الدعوة ) أو ( ظروف الواقع العصري ) أو ما شابه ذلك من الحجج والمسوغات التي يستدلون بهافي غير موضعها .

**وإذا لم يكن عون من الله للفتى فأول مايجني عليه اجتهاده**

**كلمة حق :**

إنه مع محبتنا في الله لمعظم من ينتسب لتلك الجماعة ، في كل قطر ومصر ، لكونهم من خيار أهل تلك الديار ، ومن أشد المتحمسين لهذا الدين ، الذابّين عنه ، والعاملين من أجله والمضحين في سبيله ، والذين أنقذوا الكثير من النشء من براثن التحلل والفساد ، بوقوفهم سداً منيعًا ، أمام الإعصار الذي اجتاح ـ ولا يزال ـ الأمة الإسلامية ، ممثلاً في الغزو الفكري ، وحملات التغريب ، إلا أن المنهج الذي تسير عليه تلك الجماعة ، وتستقطب لأجله شباب الأمة ، فيه من الخلل والقصور ، ما يجعله قاصراً عن تحقيق آمال وطموحات الأمة في التغيير والتمكين .

ومع محبتنا في الله لمعظم أولئك الدعاة ، إلا أن الحق أحب إلينا ،

ومصلحة الأمة فوق كل اعتبار ، والحق أحق أن يتبع ، فلابد من تعاهد المسيرة ، وتقويمها وتصفيتها ، حتى يتضح لشباب الأمة المنهج الحق ، الذي كان عليه أنبياء الله ورسله في الدعوة والتغيير .

**وقفات حول منهج الجماعة :**

وقبل أن نبدأ في مناقشة أهم جوانب هذا المنهج ، نتساءل ـ بكل مرارة ـ : ما نصيب ( التوحيد ) من جهود هذه الجماعة ، والعالم الإسلامي برمته يدعونا وبإلحاح أن نبدأ به ، ونلتفت إليه ، ونسخر له كافة جهودنا وإمكاناتنا . ولكن ما يؤسفنا ـ ويؤسف كل مسلم خبير بواقع أمته ـ ، أن تلك الجماعة ، قد ذهلت ذهولاً أعمى ، عن الخطر الأكبر ، والخلل الأهم الذي هو السبب الأول في تخلف هذه الأمة في شتى الميادين والمجالات ، ذلكم الخلل الحاصل في اعتقاد كثير من المسلمين ، قولاً وعملاً واعتقادًا .

**ومع أن مفكري وكتّاب هذه الجماعة ، ملؤا الدنيا ضجيجًا وكتبًا وتنظيرًا ، في السياسة والحركة ، والقضايا الفكرية المختلفة ؛ إلاّ أنهم أغفلوا الحديث عن هذا الأمر الجلل ، وانصرفوا إلى غايات اعتقدوا أنها أولى وأهم ، ومن أجلها وقعوا في كثير من المحذورات والتناقضات .**

ولعل من أهمها ، التناقض العجيب في منهج تلك الجماعة ، فرغم أن منهجهم قائم على أن الحكم بغير ما أنزل الله شرك ، تجب محاربته ، والبراءة منه إلا أن براءتهم منه نظريًا فقط . أما من الناحية العملية ، فإنك تجد كثيراً منهم ـ بل ومن كبار قادتهم ـ من يشارك في تولي المناصب القضائية العليا التي تحكم بغير ما أنزل الله ويحكم بها !!

ومن المخالفات التي يقع فيها أولئك الدعاة ـ أيضًا ـ ، ساعة دخولهم ما يسّمى بالمجالس النيابية ، أو البرلمانية ( القسم الدستوري ) ، الذي يؤدونه في جلستهم العلنية ، وأمام الناس كافة ، ونصه : « أقسم بالله العظيم ، أن أكون مخلصًا للوطن ، ولرئيس الدولة ، وأن أحترم الدستور ، وقوانين الدولة ، وأذود عن حريات الشعب ومصالحه ، وأمواله ، وأؤدي أعمالي بالأمانة والصدق »(١) .

فعجبًا لمسلم يتجاهل الإخلاص لله ، ويقسم أن يكون مخلصًا للوطن ، ولرئيس الدولة ، ومحترمًا للدستور الوضعي العلماني !!

فما معنى الإخلاص ( للزعيم ) وهو لا يحكم بشرع الله ؟!

وما معنى ، ( الذود عن حريات الشعب ) فإذا كان فيهم نصارى ، وقبوريون ، ونصيريون ، وإسماعيليون ، وبعثيون ، وملحدون ، وغيرهم فإن على النائب الإسلامي أن يحترم حرية التعبير عن تلك العقائد لهؤلاء جميعًا ، بل يقسم بالله على ذلك(٢) !!

فكيف يجمع أولئك الدعاة بين متناقضين : الدعوة لتحكيم شريعة الله ، مع الإقسام على احترام الدستور ، المخالف لتلك الشريعة !!

فأي مصلحة للدعوة ترجى من وراء مثل هذه المجالس ، التي يقسم فيها أولئك الدعاة على أن يحكموا بغير القرآن !!

ولو افترضنا ـ جدلاً ـ خلو تلك المجالس من المحاذير السابقة ، فهل

---

(١) الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، عبد الغني الرحّال ، ص ٩٣ـ ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

« يسمح للإسلاميين فعلاً أن يقولوا ما يشاؤون في المجلس النيابي ؟! وإذا قالوا ما يشاؤون ( وهذا حق من حقوقهم بصفتهم من نواب المجلس ) فبينوا الحق، وفضحوا الطاغوت، هل يبقون في المجلس؛ بل هل يبقى المجلس ؟!

كلا ، ثم ألف كلا ؛ بل سيدبر لهم ( الطاغوت ) مكايد شتى يخرجهم بها من المجلس بوسائل شيطانية ، إطارها دستوري . فإن لم يفلح حل المجلس ، ودعا إلى انتخابات جديدة . أو يحل المجلس وكفى »[١] .

ولا يغرنك ـ عزيزي القارئ ـ ما يحدث أحياناً من صدام بين بعض النواب والحكومة ، فإن هذا من صميم اللعبة ، ولإيهام الرأي العام بتحقيق الديمقراطية الحقة التي عليها النظام الغربي[٢] ، ولكنه لا يغير من الواقع شيئًا لأن « النظام الحاكم له ثوابت لا يحيد عنها ، وله أصول أساسية يرتكز عليها، وينطلق منها، وكذلك له متغيرات ، يناور من خلالها، ولا يضره استبدال متغير بمتغير آخر، طالما كان هذا الاستبدال في النهاية لصالحه »[٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) وهذه الديمقراطية التي يتغنّى بها الغرب ويحرصون على تلميع دولهم من خلالها ، ليست كما يصورونها ، فإنها لا تطبق إلا في بعض الجوانب ، بل إنهم مستعدون للتخلي عنها متى ما تعرضت أدنى مصلحة من مصالحهم للخطر !! ولا يخفى أن الديمقراطية بمفهومها الواسع ـ كما يزعمون ـ لا يقرها الإسلام أصلاً ، لكونها تخول الحق في التشريع المطلق للشعب، أو من يمثله . وهذا يتناقض تناقضاً جذرياً مع الإسلام الذي يقوم بالجملة على قاعدة الإستسلام المطلق لله وحده .

(٣) الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، عبد الغني الرحّال ، ص ٢٢٨ .

**تساؤلات حول منهج الجماعة :**

هذه القضية ، التي أشغلت الجماعة ، وأخذت حيزاً ضخماً من الجهود المبذولة في ساحة العمل الإسلامي ، ومن أجلها عُطلت قضية الدعوة إلى توحيدالعبادة . ألا يحق لنا ـ بعد هذا كله ـ أن نتساءل :

ماهي النتائج التي حققوها لصالح الدعوة الإسلامية ، بعد أن أمضوا في تلك المجالس سنين طويلة ، ووقعوا خلالها في مزالق عقدية خطيرة ، وقدموا من أجلها تنازلات شرعية كبيرة ، وحصل بسببها تناقضات وإحراجات عديدة : ـ

* فهل نجحوا في جعل الشريعة الإسلامية ، هي التي يُتحاكم إليها دون سواها ؟!

* وهل نجحوا في إنفاذ قانون يحقق جزئية من أحكام الإسلام ، كتحريم الربا أو فرض الحجاب مثلاً ؟!

* وهل نجحوا في حمل أي نظام حاكم في البلاد الإسلامية الديمقراطية، على تنفيذ حد من الحدود الشرعية ؟!

* وهل نجحوا في تغيير شيء من مناهج وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة ؟!

* وهل نجحوا في أسلمة شيء من مناهج التربية والتعليم العلمانية ؟!

* وهل نجحوا في جعل المساجد منابر للدعوة ، لها حصانتها الشرعية؟!

* وهل نجحوا في توفير الحد الأدنى لحماية الدعاة ، وإيجاد مجالات يبثون من خلالها دعوتهم في قنوات الدولة ؟!

* وهل نجحوا في أسلمة شيء من أنظمة القضاء ؟!

* وهل نجحوا في إيقاف موالاة هذه الأنظمة الطاغوتية الديمقراطية لأعداء الإسلام من شرق أو غرب ؟!

* وهل نجحوا في القضاء على شيء من الخنا والفجور الظاهر في كل مكان ، أو التخفيف منه على أقل تقدير .

* وهل . . . وهل . . . وهل [١] ؟!

لقد فشل الإسلاميون في كل ذلك ، ولم يحققوا منه شيئًا ، فأين مصلحة الدعوة التي كانوا يسوغون بها دخولهم إلى تلك المجالس الشركية .

وأين المكتسبات التي كانوا يعدون بجنيها ؟! ومن أجلها عطّلوا قضية الدعوة إلى أوجب الواجبات ، ومجتمعاتهم ومجتمعات المسلمين عامة ، تنادي وبإلحاح أن نبدأ به ، ونلتفت إليه .

وإذا كان الأمر كذلك . . . فأيهما أنفع وأولى وأوجب ، أن نلتفت إلى التوحيد ، ونربي الناس عليه ، أم نعطّل ذلك كله ، ونخوض مع بقية الأحزاب العلمانية في صراعات سياسية لا طائل من ورائها !!

**آثار فشل هذا المنهج :**

ونتيجة لفشل هذا المنهج ـ الذي استبان خلله ووضح قصوره ـ انفصلت

(١) المرجع السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ ( بتصرف ) .

عن جسم هذه الجماعة ، فصائل عديدة ، رأت عدم جدوىٰ هذه المجالس وأن المشاركة فيها عبث لا مصلحة منها ، وكردة فعل مضاد ؛ فقد اتجهت معظم هذه الفصائل إلىٰ العمل المسلح وإعلان الجهاد ؛ فسلكت منهج العنف والقوة وحمل السلاح والقتل والتفجير والاغتيالات . . .

وبعضها الآخر ، تبنىٰ منهج العزلة وتكفير المجتمعات والحكومات .

وكل ذلك نتيجة من نتائج الجهل بحقيقة المنهج النبوي الذي ينبغي أن يسلك في الدعوة والتغيير .

وتصور ـ أخي المسلم ـ لو أن تلك الجماعات والحركات ، اتجهت بالقوة نفسها ، وبالجهد نفسه ، ووظفت ذلك كله ، لمحاربة الشرك ، واجتثاث جذوره ، وكشف عواره للناس كافة واستفادت من إمكاناتها المختلفة ، لتربية الناس علىٰ العقيدة الصحيحة ، لحصل الخير الكثير للإسلام والمسلمين ، ولنشأ جيل سيُعتمد عليه ـ بعد الله ـ لأن يشكل الأرضية القوية للعمل الإسلامي ، لنشر هذا الدين في الأرض كافة ، ولرجونا من هذا الجيل أن يكون ـ بإذن الله ـ مقدمة للإرهاصات المبشرة بقيام الدولة الإسلامية المنشودة .

# نحو ترشيد المسيرة

## وقفات ومناقشات لأهم قضايا العمل الإسلامي

## مصلحة الدعوة بين الشرع والعقل

إن من نافلة القول ، أن نُذَكِّر بأن منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة والتغيير ، قائم على قواعد راسخة ، مستمدة من مصادر التشريع المختلفة ، كقاعدة ( المصالح والمفاسد أو الاستحسان ، أو ارتكاب أخف الضررين . . . إلخ ) وهي جميعًا منضبطة بالأدلة الشرعية ـ كتابًا وسنة وإجماعًا وقياسًا ـ ، إذ ليس كل مصلحة يتوهمها العقل كذلك إلا بدليل شرعي ، وما لم تنضبط بهذا الضابط فإنها مردودة على صاحبها ، أيّاً كان قائلها .

وعليه فإن كل منهج دعوي ، يستند على أي قاعدة من تلك القواعد ، دون مراعاة لضوابطه الشرعية ، ليسوغ مخالفاته المنهجية ، فإن فيه من الخلل والقصور بمقدار تلك المخالفات .

وما تلك التجاوزات الشرعية ، التي وقعت فيها تلك الجماعات ؛ إلا نتيجة لعوامل عدة، لعل من أهمها : ضعف العلم الشرعي . . والعاطفة . . والرغبة الملحة في انتشار دعواتهم وانتصارها . .

فهذه عوامل قد تدفع أصحاب الدعوات ـ بعد الرسل ـ إلى التنازل عن شيء من المنهج الشرعي ، يحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم .

ولكي يتجلى لك هذا الأمر على حقيقته ، تأمل ـ أولاً ـ كيف عوتب الرسول ﷺ حينما اجتهد في قبول أعذار المتخلفين عن غزوة تبوك . فنظراً لأن القضية ، قضية اجتهادية ، لاعلاقة لها بالمنهج ، فقد عاتبه الله تعالى ، بعتاب لم نسمع بألطف، ولا أرأف منه، حتى أنه قدم العفو ، قبل العتاب ،

على خلاف العادة في تقديم العتاب قبل العفو ، فقال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾(١) .

ثم انظر كيف اختلف أسلوب العتاب ، باختلاف القضية ، فلكونها متعلقة بالمنهج ؛ فقد جاء العتاب قويًا شديداً يُشعرك به ، أول كلمة تقرع سمعك﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾(٢) .

**وقارن بين هذه الآيات ، بما قبلها ، يتبين لك أهمية المنهج ، وعدم التنازل عن شيء منه .**

وأين هذا مما عليه معظم الجماعات الإسلامية ـ اليوم ـ من الإخلال بمثل هذه القضية ، التي نزل القرآن ببيانها والتأكيد عليها ، حتىٰ رفعت ـ باسم الدعوة ـ شعارات التجميع والتلفيق ، بل وصل الأمر ، إلىٰ ما هو أكبر من ذلك وأخطر ، وهو التنازل عن جوهر الدعوة وأسها ( الدعوة إلىٰ توحيد العبادة ) باسم ( مصلحة الدعوة ) ـ المفترىٰ عليها ـ تارة ووحدة الصف وجمع الكلمة تارةً أخرىٰ . نعم قد يكون هذا « في مصلحتهم كحزب يسعىٰ إلىٰ الحكم والرياسة ، ولكنه حتمًا ليس في مصلحة الدعوة الإسلامية ، التي يقوم أساسها علىٰ التوحيد الكامل ، وليس أساسها علىٰ الحكم والرياسة ،

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٣ .

(٢) سورة عبس ، الآيات : ١ ـ ١١ .

فتصحيح الحكم والسياسة من الدين، ولكنه ليس أصل الدين ومنطلقه»[١].

**ونحن لا نشك ـ إن شاء الله ـ أنهم بعملهم هذا إنما يرجون الخير لهذه الأمة، وإعادة عز المسلمين وأمجادهم، تقربًا إلى الله تعالى بذلك، ولكن ضغط الواقع لاينبغي أن يكون مُسوّغًا لمخالفة المنهج؛ وإن حسنت النية؛ فصلاحها لايكفي لصلاح العمل، ما لم يكن معه اتباع للمنهج**، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «**كم من مريد للخير لن يصيبه**»[٢]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «**مايراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله؛ فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبًا على ضرره، لم يهمله الشارع؛ فإنه ﷺ حكيم، لايهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين**»[٣].

ولذا فإنّ مخالفة أولئك الدعاة، وتلك الجماعات، للمنهج الشرعي باسم (مصلحة الدعوة) أو (ارتكاب أخف الضررين) أو ما يرونه (استحسانًا)، لمجرد وعيهم (بفقه الواقع) ـ فحسب ـ، بابٌ إذا فتح، أصبح مجالاً لكل من هبّ ودبّ، بأن يجتهد باستحداث المناهج الفكرية، والتنظيمات الحزبية، بلا ضابط أو رادع.

ومن ينظر إلي الساحة اليوم، يرىٰ المناهج المتضاربة والأفكار المتباينة، وكلها تستند في غاياتها وأهدافها علىٰ أصول (يستحسنها) أصحابها

---

(١) الأصول العلمية للدعوة السلفية، عبد الرحمن عبد الخالق، ص ٦٨.

(٢) جزء من حديث أخرجه الدارمي في سننه ١/ ٦٨ ـ ٦٩، وانظر هامش ابن وضّاح في كتابه البدع والنهي عنها ص ٩.

(٣) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١/ ٦٢٤.

بعقولهم وعواطفهم ، وكل يزعم أن فيما رآه مصلحة للدعوة وتمكينًا للأمة .

وأدىٰ ذلك كله إلىٰ طمس معالم المنهج النبوي عند كثير من شباب الصحوة ، الذي أفاق من سباته ليجد هذه المناهج والأفكار التي تموج بها الساحة ، فافترق شباب الأمة بين هذه الجماعات والحركات والأحزاب والتنظيمات ، ولُبّس عليهم ، فاعتقد كل منهم أنه علىٰ الطريق الشرعي الصحيح .

وعلىٰ هذا فإن فتح باب ما يتوهمه العقل ( استحسانًا ) أو ( مصالح مرسلة ) علىٰ مصراعيه ـ بدون دليل شرعي ـ **باب خطير ، وبلغ من خطورته** أن قال عنه الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : « **من استحسن فقد شرّع** »(١) ، وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « القول بالمصالح المرسلة يشرّع من الدين مالم يأذن به الله غالبًا »(٢) .

وعليه ما ضل من ضل من الفرق والطوائف والجماعات إلا من هذا الباب « فكثيراً ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه المنفعة مرجوحة بالمضرة ، كما قال تعالىٰ في الخمر والميسر : ﴿ **قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾(٣) .

وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام ، والتصوف ، وأهل الرأي ، وأهل الملك ، حسبوه منفعة أو مصلحة ، نافعًا ، وحقًا ، وصوابًا ، ولم يكن كذلك .

---

(١) أصول مذهب الإمام أحمد ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ص ٥٦٧ .

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية : ١١/ ٣٤٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .

بل كثير من الخارجين من الإسلام ، من اليهود ، والنصارىٰ ، والمشركين ، والصابئين ، والمجوس ، يحسب كثير منهم ، أن ما هم عليه من الاعتقادات ، والمعاملات ، والعبادات ، ( مصلحة لهم ) في الدين والدنيا ، ومنفعة لهم ، فقد ﴿ **ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ (١) .

وقد زيّن لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا ، فإذا كان الإنسان يرىٰ حسنًا ما هو سيء كان ( استحسانه ) أو ( استصلاحه ) قد يكون من هذا الباب » (٢) .

إذا تقرّر هذا فاسمح لي ـ عزيزي القاريء ـ أن أتوجه بهذا السؤال : **هل يجب أن تخضع المستجدات العصرية للشرع ؟ أم أن الشرع يجب أن يخضع للمستجدات العصرية والتطورات السياسية ؟** (٣) .

فإن كانت الأولىٰ حقًا ـ وهي كذلك بلا شك ـ ، فيجب علىٰ تلك الجماعات أن تعود إلىٰ رشدها وألا تتنازل عن شيء من المنهج الشرعي ، فتجمع في صفوفها ما هبّ ودبّ ، ولتبدأ بالتصفية والتربية ، والعودة إلىٰ المنهج الشرعي ، القائم علىٰ تعظيم الكتاب والسنة واستلهام المنهج منهما ، علىٰ ضوء فهم السلف لهما .

وألا تشغل نفسها وشباب الصحوة المتعاطف معها ، في أمور ليس لهم بها حولٌ ولا قوةٌ .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ١٠٤ .

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية : ١١/ ٣٤٥ .

(٣) انظر : كتاب الطريق إلىٰ الجماعة الأم ، عثمان نوح ، ص ١٠ .

وإن كانت الثانية حقًا : فلازم ذلك ـ بلا ريب ـ تبديل الشرع ، وتغيير الملة ، والانحراف التام عن منهج الأنبياء .

ومن لازمه ـ أيضًا ـ القول بضعف جدوى الأمر بلزوم السنة واتباع السلف .

ومن لازمه ـ كذلك ـ ألا يكون هناك معنى لقوله ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »[١] إلى غير ذلك من اللوازم التي تشمل معظم أصول الدين وفروعه .

**فإذا كانت الأولى هي الحق ـ والمسلم وقّافٌ عند الحق لا على العاطفة أو التربية التي رُبي عليها ـ فيجب أن ترتفع كلمة (مصلحة الدعوة) ـ بهذا المفهوم ـ وما شابهها من المصطلحات من قاموس تلك الجماعات لافتقارها للدليل الشرعي ، ولأنها قد تتحول « إلي صنم يتعبده أصحاب الدعوة، ينسون معه منهج الدعوة الأصيل !!...**

إنّ على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطراً على الدعوة وأصحابها ؛ فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسبب من الأسباب ، سواء كان هذا الانحراف كثيراً أو قليلاً ، والله (أعرف)[٢] منهم بالمصلحة ، وهم ليسوا بها مكلفين، وإنما هم

---

(١) انظر : المسند ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ . والدارمي في سننه ١/ ٤٤ ، وقال الألباني : حديث صحيح ، انظر : السلسلة ٤/ ٣٦١ .

(٢) لفظة ( أعرف ) لم ترد في الكتاب أو السنة ، والمعرفة إنما تكون بعد الجهل ، ولذا فالصواب أن يقال : ( أعلم ) لأن العلم أعلى درجات المعرفة .

مكلفون بأمر واحد : ألاّ ينحرفوا عن المنهج وألاّ يحيدوا عن الطريق »(١) .

والقول الجامع في ذلك ، أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل الله تعالىٰ قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة « فأحكام الله تعالىٰ الثابتة بالكتاب والسنة ، لا يمكن بحال من الأحوال أن تتأخر عن تحقيق مصالح العباد سواء في الأصول أو الفروع . **فإذا كانت أحكام الله تعالى لم تتأخر في بيان ما يسعه المسلم في دقائق شؤونه من أكل ، وشرب ، ونوم ، وعبادة ، وأخلاق وغير ذلك ، فهل تتأخر عن بيان قضية منهجية مهمة ، وهي كيفية تغيير الواقع ومنهج مصارعة أهل الباطل** »(٢) !!

فالمسألة إذن مسألة دين ، نتعبد الله به ، لا هوىٰ نتبعه ونعمل لأجله ، بحجج هي أوهىٰ من بيت العنكبوت ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(٣) .

ونسأل الله تعالىٰ أن يجنبنا مثل هذه الفتن التي تُزخرف فيها أقوال الرجال وآراؤهم ، حتىٰ تصبح حقائق مسلّمة ، قد يصعب معها الإقناع والتغيير .

ورحم الله الإمام الأوزاعي حينما قال : « إياكم وأصحاب الرأي ، أعيتهم الأحاديث أن يعوها »(٤) .

وقديمًا قال الشاعر :

**يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن**

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٤/ ٢٤٣٥ .

(٢) الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، عبد الغني الرحّال ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣) سورة ص ، آية : ٢٦ .

(٤) انظر : جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ٢/ ١٠٥٢ .

## فقه الأولويات

إن من أعظم ما أصيبت به الجماعات الإسلامية والمؤسسات الدعوية ـ عدا السلفية منها [١] ـ هو **إضاعة العلم الشرعي بين أربابها ومنظّريها** ، وبضياعه ضاع فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى ، الذي به تتحصن تلك الجماعات ، من إضاعة الرؤية المنهجية ، التي كان عليها أنبياء الله ورسله ، ولا سيما سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ .

فكان من أهم وأكبر إفرازات ذلك أنّ معظم الدعاة والجماعات ، أخذوا يتخبطون في تشخيص حال الأمة ، والبحث عن الخلل الذي أصابها وسبيل النهوض بها ، ويصور الدكتور جعفر شيخ إدريس ـ الذي خبر الدعوة وعايشها في كثير من أقطار العالم ـ هذا الضياع وهذا التخبط الذي أصاب أولئك الدعاة فيمثل حالهم « بحال أناس تعطلت سيارتهم فذهب بعضهم يصب البترول في خزانها ، ، وبعضهم ينفخ الهواء في إطاراتها ، وبعضهم يُصلح فرشها ، وبعضهم يغير طلاءها . لكن السيارة تظل قابعة لا حراك فيها . لأن خللها في ماكينتها المحركة لها .

وكذلك نحن خللنا أساسي ، ولولا ذلك لما توقف سيرنا أوكاد . فالله قد وعد ووعده الحق ، بأنه لن يجعل للكافرين علينا سبيلاً ، ووعدنا بأنه

---

(١) وهنا لا أزكي كل من ينتسب للمنهج السلفي ـ في وقتنا الحاضر ـ فهم بشر من البشر ، يعتريهم ما يعتري غيرهم ، من الزلل والخطأ ، والإفراط والتفريط ، وقد بلغ الأمر بغلو ( البعض منهم ) وتعجلهم بتفسيق وتبديع غيرهم إلى أن يكونوا سبباً ـ علموا أو لم يعلموا ـ في فتنة الآخرين عن قبول هذا المنهج أو الانتساب إليه !!

سيمكن لنا ديننا ، لكنه شرط كل هذا بالإيمان فقال تعالىٰ : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾[١] .

فما نسميه انحرافًا في المنهج هو في حقيقته خلل في الإيمان . . **وما لم يصلح هذا الانحراف ، فلا أمل في صلاح الأمة ، إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .**

**إن بعض النواقص التي يتحدث عنها بعض إخواننا ويعدونها عللاً أساسية ، هي في حقيقتها علل فرعية ناتجة عن العلة الكبرى ـ علة الخلل الإيماني ـ ولست أشك في أن تقويم الانحراف الأساسي ، يمهد الطريق لعلاج كل أنواع النقص الأخرى** »[٢] أ . هـ .

قلت : بهذا الفقه تشخص حال أمتنا ، وبهذه الأولويات نصل إلىٰ غايتنا . وأحذق الدعاة ؛ من يشخص الداء ويصف له ناجع الدواء .

والأدلة علىٰ فقه الأولويات أكثر من أن تحصىٰ ، وأشمل من أن تحصر . .

فالأحكام الشرعية ـ مثلاً ـ ليست علىٰ درجة واحدة فمنها : المباح ، والواجب ، والمستحب ، والمكروه ، والمحرم . وليس من الشرع ولا من العقل ، أن يبدأ الداعي بالمستحب قبل الواجب ، ولا بالمكروه قبل المحرم . . . إلخ .

---

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(٢) انظر : مجلة الصراط المستقيم ، ص ٦ عدد ١٢ جمادي الأول ١٤١٣هـ .

ولذلك لما بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ إلى اليمن قال له : « **إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذمنهم وتوق كرائم أموال الناس** »(١) .

وكل مسلم يفهم من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾(٢) أهمية مراعاة الأولويات ، فلا نبدأ بإنكار المهم ( الذي يغفره الله لمن يشاء ) ونترك أو نؤجل الإنكار على الأهم ( الذي لايغفره الله ) .

والرسول ﷺ يقول في الحديث ، الذي يرويه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأرفعها ، لاإله إلا الله ، وأدناها ، إماطة الأذى عن الطريق** »(٣) . وهنا ـ أيضًا ـ هل من الجائز شرعًا أو اللائق عقلاً أن نبدأ بالدعوة إلى ( الفرع ) ونغفل ( الأصل ) ؟ .

أم أن مراعاة ذلك ، واجب شرعًا وعقلاً ؟!

**وانظر ـ أيضًا ـ إلى الوصايا العشر ، في سورة الأنعام ، التي قال عنها ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ ، التي عليها خاتمه ،**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ٤/ ٣٧٨ ، برقم ( ٧٣٧٢ ) .

(٢) سورة النساء ، آية : ١١٦ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، باب أمور الإيمان ١/ ٥١ ، وصحيح مسلم ١/ ٦٣ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٤٤٥ ، والنسائي في الإيمان ٢/ ٢٦٥ ، والترمذي في الإيمان ٥/ ١٠ .

**فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ـ إلى قوله ـ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** »(١)(٢) .

فإذا قرأت هذه الآيات ، وتأملت كيف بدأ الله تعالى بالنهي عن الشرك أولاً ، ثم تدرج بالأهم فالمهم ، علمت ـ يقينًا ـ ضرورة مراعاة الأولويات في كل وصية ودعوة إلى الله .

**وتأمل ـ أيضًا ـ الأوامر والنواهي المتتابعة في سورة الإسراء** ، وستجد أن الله تعالى بدأها أولاً ، بالنهي عن الشرك ، فقال : ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولا** ﴾(٣) ثم ختمها ـ أيضًا ـ بالنهي عن الشرك ، فقال : ﴿ **ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا** ﴾(٣) .

وفي هذا دلالة واضحة ، على خطورة الشرك ، وشدة التنفير منه ، حتى أنه تعالى ، بدأ الوصايا به وختمها به أيضًا .

**وانظر ـ كذلك ـ إلى وصايا لقمان لابنه** ، وهو أحب الناس إليه ، وأشفقهم عليه ، بم أوصاه أولاً ؟

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾(٤) . ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿ **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ**

---

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ١٥١ ـ ١٥٣ .

(٢) رواه الترمذي برقم ( ٣٠٧٢ ) ، وقال : حسن غريب .

(٣) سورة الإسراء ، الآيات : ٢٢/ ٣٩ .

(٤) سورة لقمان ، الآيات : ١٣ ـ ١٩ .

الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[١] .

فتأمّل الوصية جيداً ، وانظر بِمَ بدأها ، وبم ختمها ، يتضح لك بصورة جلية ضروة ترتيب الأولويات ، وعدم البدء ( بالمهم ) قبل ( الأهم ) .

**وهكذا سيرة نبيّنا وقدوتنا محمد** ﷺ ، فتتبع مراحل دعوته تجد ـ أيضاً ـ أهمية مراعاة الأولويات ، وعدم تحكيم العواطف ، واستعجال النتائج ، فيما نراه ـ ظاهراً ـ أنه تمكين للدعوة والدعاة .

لقد ظل في مكة ، ثلاثة عشر عامًا ، يعالج قضية واحدة ، لا يتجاوزها إلى غيرها .

**وكان بإمكانه أن يثيرها قومية عربية** ، تستهدف تجميع قبائل العرب التي أكلتها الثارات ، ومزقتها النزاعات ، وتوجيهها وجهة قومية ، لاستخلاص أرضها المغتصبة من الإمبراطوريات المستعمرة ، وسيجد العرب قاطبة معه ؛ بدلاً من أن يعاني ثلاثة عشر عامًا في اتجاه معارض لأهواء أصحاب السلطان في الجزيرة ، ثم بعد أن يولوه فيهم القيادة والسيادة ، وبعد استجماع السلطان في يديه ، والمجد فوق مفرقيه ، يستخدم هذا كله في إقرار عقيدة التوحيد التي بعث بها .

**وكان بإمكانه ، أن يعلنها دعوة إصلاحية** ، تتناول تقويم الأخلاق ، وتطهير المجتمع وتزكية النفوس ، من آثار الفساد والانحطاط الأخلاقي ، وربما قيل إنه لو صنع ذلك لاستجابت له جمهرة صالحة ، تتطهر أخلاقها ، وتزكوا أرواحها ، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها ، بدلاً من أن تثير دعوة

---

(١) سورة لقمان ، الآيات ١٣ ـ ١٩ .

( لا إله إلاّ الله ) المعارضة القوية التي وجدتها أول الطريق ! !

لكن الله سبحانه ـ وهو العليم الحكيم ـ لم يوجه رسول الله ﷺ إلىٰ شيء من ذلك .

**إنما وجهه إلى أن يصدع بـ ( لا إله إلا الله ) ، وأن يتحمل هو والقلة التي تستجيب له كل هذا العناء .**

وهذا هو الطريق . . .

فعندما حصلت المقدّمات ، وروعيت الأولويات ، أعقبتها النتائج ، فتحقق كل شيء اقترحه المقترحون : **فقد تقررت العقيدة في القلوب ، وعاد الناس إلى التوحيد ، وقامت الدولة ، وتطهرت الأرض من سلطان الغزو ، وتطهر المجتمع من الظلم والفساد ، وتطهرت النفوس والأخلاق ، وزكت القلوب والأرواح**[1] .

وليس هذا ـ فحسب ـ بل استعرضوا ـ إن شئتم ـ دعوات الأنبياء جميعًا من أين بدأوا التغيير ، وكيف بدأوا ؟

هل بدأ أحد منهم بالثورة علىٰ الدولة لأنها مصدر الشرك ومنبع الفساد ؟ !

أم هل بدأ أحد منهم بالمنكرات والمعاصي ؟ !

أم بدأوا جميعًا بالتوحيد والقضاء علىٰ منابع الشرك والضلال ؟

إنهم جميعًا إنما ساروا علىٰ طريق واحد ، ولم يحد عنه أحد منهم :

---

(١) انظر : معالم في الطريق ، سيد قطب ص ٢٠ ـ ٤٥ .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١) .

طريقهم الدعوة إلى التوحيد ، وما يتفرع منه فكان كل منهم يبدأ دعوته بقوله : ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ قالها نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب . . . وسائر الأنبياء ، فهي مهمتهم الأساس التي كلفوا بها أولاً .

**وهي مهمة ـ ولا شك ـ شاقة ، بل وأصعب كثيرًا من الدعوة إلى إقامة الدولة**(٢) .

فساروا جميعًا على هذا الطريق الوعر ، ولقوا فيه الساخرين المستهزئين ، ولقوا عليه المعتدين الآثمين ، ورأوا على جوانبه السجون والمعتقلات ، ورأوا في منعطفاته أدوات القتل ، والفتك والتعذيب ، شرد أتباعهم ، وقتل كثير منهم ، ورأوا رهطهم الكرام ينشرون بالمناشير ، فيقسمون قسمين ، رأوا المصلوبين والمشنوقين والموتدين بالأوتاد .

رأوا وعلموا علم يقين كل هذا ، فعبّر عنه خاتمهم ﷺ بذلك التعبير الصادق « **حفت الجنة بالمكاره** » (٣) مبينًا أن هذا هو طبيعة الطريق (٤) . . . طريق مليء بالأشواك والمصاعب . . . ناح فيه نوح . . . ورُمي فيه إبراهيم

---

(١) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٢) لأنّ من سيدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية ، سيجد من عامة المسلمين على اختلاف مشاربهم وأفكارهم ومعتقداتهم التأييد والتبجيل . أمّا من يدعو إلى التوحيد ـ في مثل تلك المجتمعات ـ فسيجد العداء من معظم أفراد مجتمعه ، بل ومن بعض أقاربه وأصدقائه ، وربما من أهله . ولذلك يحيد معظم الدعاة والجماعات عن الدعوة إلى هذا الأصل الأصيل .

(٣) جزء من حديث رواه أنس بن مالك انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٦٥ .

(٤) انظر : الطريق إلى جماعة المسلمين ، حسين جابر ص ٢٢٥ .

بالنار . . . وشُج فيه وجه المصطفىٰ ﷺ وكسرت رباعيته الشريفة . . لكن ماعنه بديل . .

**يا إخوتي درب الجنان طويل وبه المصاعب والمتاعب جمة**
**لكنما هو ليس عنه بديل**

هذا هو سبيل الدعوة . . البدء بالتوحيد أولاً ، والصبر علىٰ ما قد ينجم عن ذلك من مصاعب ومتاعب وفتن وإحن . . . فهذا سبيل الأنبياء والرسل جميعًا ؛ فاقرأ وتدبَّر كتاب الله ، فإنك لا تكاد تجد سورة من سوره ، إلا وفيها ذكر لقصة دعوة نبي منهم ، أو إشارة إلىٰ شيء منها .

فَلِمَ يُبدئ القرآن ويعيد في ذكر قصصهم ؟

أوليس هذا دعوة لنا في أن نقتفي أثرهم ، ونترسم خطاهم ؟ كيف لا ، والله تعالىٰ قد أمر رسوله الكريم أن يقتدي بهم وأن يسير علىٰ نهجهم حينما خاطبه قائلاً : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه** ﴾(١) .

والخطاب للنبي ﷺ ( كما هو معلوم ) خطاب لأمته من بعده إلىٰ قيام الساعة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا نستجيز مخالفة نهجهم والعدول عنه إلىٰ آراء الرجال وأفكارهم في البدء ( بالجزئيات ) وعدم الخوض في أخطر قضايا الأمة ( توحيد العبادة ) رغم واقعها المرير الذي يلح علينا أن نبدأ به ، ونعطيه من الأولوية والاهتمام ما يستحق .

**إن اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرَ**

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

ولو أنّنا ـ جدلاً ـ تنازلنا عن قضية الأولويات ـ رغم أننا لا نملك ذلك شرعًا ـ ، وبدأنا بالمهم ( العمل السياسي ) ، قبل الأهم ( التوحيد ) ، وجعلناه غايتنا وهدفنا ، وصرفنا له كل جهودنا وإمكاناتنا وتوصلنا إلى « تشكيل ( برلمان ) غالبيته إسلامية . . ومعظم أعضائه يطالبون بتحكيم شريعة الله !! ، فماذا يستطيع هذا ( البرلمان ) أن يصنع بدون القاعدة المسلمة التي تسند قيام الحكم الإسلامي ، ثم تسند استمراره في الوجود ، بعد قيامه؟ !!

إنقلاب عسكري يحل البرلمان ، ويقبض على أعضائه ، فيودعهم السجون ، والمعتقلات ، وينتهي كل شيء في لحظات [1] !!

إنه تفكير ساذج ، رغم كل ما يقدم له من المسوغات . . وفوق ذلك ؛ فهو يحتوي على مزالق خطيرة ، تصيب الدعوة في الصميم وتعوقها كثيراً على الرغم مما يبدو ـ لأول وهلةٍ ـ من أنها تمكن لها في التربة وتعجل لها الخطوات ، ومن هذه المزالق :

**أولاً : المزلق العقدي :**

كيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه ، بالتحاكم إلى شريعة الله وحدها

---

(١) ولعل أقرب مثال على ذلك ، ماحدث لجبهة الإنقاذ الإسلامية ، حينما فازت في الإنتخابات الجزائرية بأغلبية ساحقة ، وكانت النتيجة ؛ أن تدخل الجيش فألغى الإنتخابات ، وزج بكبار قادتها في السجون ، وفتحت المعتقلات لعشرات الألوف من الشباب ، ولا تزال الفتنة قائمة إلى يومنا الحاضر !! فتأمل .

وماحدث ـ كذلك ـ لحزب الرفاه الإسلامي في تركيا ، فحينما هَمَّ رئيس الدولة المسلم بالتغيير ، قام العسكر بإزاحته وبكل سهولة !! وذلك لعدم وجود القاعدة المسلمة التي رُبيت على الإسلام ؛ ليقوم عليها الحكم الإسلامي أولا ، ويستند إليها بعد قيامه .

دون سواها والذي يقول له دينه إن كل حكم غير حكم الله ، هو حكم جاهلي ، لا يجوز قبوله ، ولا الرضىٰ عنه ، وبه ، ولا المشاركة فيه . . كيف يجوز له أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله ، ويعلن بسلوكه العملي ـ في كل مناسبة ـ أنه يرفض التحاكم إلىٰ شريعة الله ؟!

كيف يجوز له أن يشارك فيه ، فضلاً عن أن يقسم يمين الولاء له ، ويتعهد بالمحافظة عليه ، وعلىٰ الدستور الذي ينبثق عنه ، والله يقول سبحانه : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾(١) .

وهؤلاء حديثهم الدائم ـ غالبًا ـ مخالفة شريعة الله ، والإعراض عنها ؛ ولا حديث لهم غيره ينتظره المنتظر حتىٰ يخوضوا فيه ! فكيف إذن يقعد معهم ؟!

كل ما يقال من مبررات : أننا نُسمعهم صوت الإسلام . . أننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغير ما أنزل الله . . أننا نتكلم من المنبر الرسمي فندعو إلىٰ تحكيم شريعة الله . . كل ذلك لا يُبَرِّر تلك المخالفة العقدية الواضحة .

**ثانيًا : تمييع القضية بالنسبة للجماهير :**

إننا نقول للجماهير في كل مناسبة ، إن الحكم بغير ما أنزل الله باطل ، وأنّه لاشرعية إلا للحكم الذي يحكم بشريعة الله . . . ثم تنظر الجماهير ، فترانا قد شار كنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه !! فكيف تكون

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٤٠ .

النتيجة ؟! »[١] .

والخلاصة ـ ونقولها بلسان عربي مبين ـ :

إن أولئك الدعاة ـ وهم « يقدمون أنفسهم للناس ، باعتبارهم حاملي لواء الإسلام ، والمدافعين عنه ـ مجبورون ، وبإصرار على البدء بالعقيدة أولاً . والإسلام ليس ملكًا لأحد من البشر حتى يملك التجاوز أو التراجع عن أولوياته ، مهما كانت الظروف »[٢] والأسباب ، فإنه لا صلاح لنا ، ولا نجاح لدعوتنا إلا إذا بدأنا ( بالأهم ) قبل ( المهم ) وذلك بأن ننطلق في دعوتنا ، من عقيدة التوحيد . نبني عليها سياستنا ، وأحكامنا ، وأخلاقنا ، وآدابنا ، ننطلق في كل ذلك من هدي الكتاب والسنة ، وعلى ضوئهما نرتب أولوياتنا ، ونوازن بينها ، فنعطي كل جانب ما يستحقه من الأهمية والاهتمام ، بلا إفراط ولا تفريط .

ذلكم هو الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، الذي أمرنا الله تعالى بسلوكه ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾[٣][٤] .

---

(١) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ ( بتصرف ) .

(٢) الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، عبد الغني الرحّال ، ص ٢٣١ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .

(٤) من مقدمة د . صالح السحيمي لكتاب ( حقيقة الدعوة إلى الله ) لسعد الحصين ص ٣٣ ( بتصرف ) .

## التوحيـــد أولاً

**إذًا ؛ فقضية التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة ؛ هي القضية الكبرى الأساس ، التي دعا إليها جميع الأنبياء والرسل ، ودارت حولها جهودهم ، وكانت محط تفكيرهم ونصب أعينهم ، قيامًا وقعودًا ... ليلاً ونهارًا ... سرًا وجهارًا ... حربًا وسلمًا .**

ولا غرابة أن تحظى كلمة التوحيد ـ من أولئك الصفوة من الدعاة ـ بهذا الاهتمام الكبير وبهذا الجهد المنقطع النظير ، فهي « الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، وجردت سيوف الجهاد . وهي محض حق الله على جميع العباد . وهي الكلمة العاصمة للمال ، والدم ، والذرية ، في هذه الدار ، والمنجية من عذاب القبر ، وعذاب النار .

وهي المنشور الذي لا يدخل الجنة إلا به ، والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه . وهى كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام . وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ، ومقبول وطريد . وبها انفصلت دار الكفر عن دار الشقاء والهوان . وهي العمود الحامل للفرض والسنة و « **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** »(١)(٢) .

**من أجل هذا فقد بدأ نبينا محمد ﷺ دعوته بالتوحيد ، وسار عليها بالتوحيد ،**

---

(١) خرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٥/ ٢٢٣ ، ٢٤٧ ، والحاكم في مستدركه ١/ ٣٥١ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

(٢) الداء والدواء ، ابن القيم ، ص ٣٣٢ .

فانظر إلى أطوار بعثته من حين « الأمر بإنذار العشيرة إلى الأمر بالهجرة ، إلى الإذن بالقتال ، إلى فتح مكة ، إلى الإعلام بدنو الأجل . لم تخل من إعلان التوحيد وشواهده ، ومحاربة الشرك ومظاهره . ويكاد ينحصر غرض البعثة أولاً في ذلك . فلا ترك النبي ﷺ التنديد بالأصنام وهو وحيد ، ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ثلاث سنوات شديدات ، ولانسيه وهو مختف في هجرته والعدو مشتد في طلبه ، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر في مدينته بين أنصاره ، ولا غلّق باب الخوض فيه بعد فتح مكة ، ولا شغل عنه وهو يجاهد وينتصر ويكر ويفر ، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ، ونبذ الشرك .

وهذه سيرته المدونة ، وأحاديثه المصححة ؛ فتتبعها تجد تصديق ما ادعينا ، وتفصيل ما أجملنا »(١) .

**وهكذا شأن الدعوات الإصلاحية ـ الحقة ـ** ، فالمعركة التي أثارها الإمام أحمد بن حنبل ـ مثلاً ـ حتى تعاقب على سجنه أربعة من الخلفاء ، كانت من أجل التوحيد وعدم التنازل عن شيء منه ، حتى لقب ـ رحمه الله ـ بإمام أهل السنة .

والمعركة التي خاضعها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مع خصومه ، حتى شرّد من بلد إلى بلد ، ومن سجن إلى آخر ، حتى توفي في سجن القلعة ؛ كانت بسبب التوحيد .

وكذا المعركة التي أثارها الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره ، مبارك الميلي ص ١٩ .

الله ـ كانت من أجل التوحيد وتطهير الجزيرة من الوثنية الدنسة .

ومن يعرف نجداً كيف كانت ثم كيف أصبحت ـ بفضل هذه الدعوة ـ يدرك جيداً معنى أهمية سلوك هذا المنهج في الدعوة إلى الله .

أما من يقرأ سيرة داعية الجنوب الإمام عبدالله القرعاوي ـ رحمه الله ـ ( ت ١٣٨٩هـ ) فإنه يزداد يقينًا ، بضرورة الدعوة إلى التوحيد أولاً ، فقد كانت منطقة الجنوب ـ جنوب المملكة ـ حين وصوله إليها « تئن تحت وطأت عقائد شركية مهلكة ، واعتقادات بدعية مضلة ، وعوائد مسيطرة ، يصعب التخلص منها أو الخروج عنها ، فدعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقابل السيئة بالإحسان والصبر ، ودأب في التعليم ليل نهار حتى غرس في كل قبيلة غرسًا يقوم معه بل وأمامه في كل مهمة ، فانتشر التوحيد بعد الشرك ، وفشت السنة بدل البدعة ، والعلم بدل الجهل ، والعدل بدل الظلم »(١) .

فكان من نتائج هذه الدعوة وثمراتها ـ كما يقول أحد أبنائها ـ أن «اجتمعت في هذه المنطقة بفضل الله ثم بأسبابه نعمة الدين والدنيا معًا»(٢) .

فانظر ـ يارعاك الله ـ كيف أصبح ذلك الإمام ـ بفضل دعوة التوحيد ـ فأل خير وبركة على أهل تلك المنطقة الموفقة .

وبقدر ما تكون الأمة واعية لهذا المنهج ، عاملة بمقتضاه ، يكون التمكين والاستخلاف ، كما استخلف الذين من قبلنا ؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة

---

(١) من مقدمة الشيخ أحمد النجمي لكتاب : النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة للشيخ عمر أحمد المدخلي ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

إلاّ بما صلح به أولها .

فالشعوب الإسلامية لم تنهض وتجتمع وتتوحد فيما مضى ـ رغم تباعد الأوطان ، واختلاف اللغات ، وتنوع الأجناس ـ إلاّ بالتوحيد .

واليوم . . لن يوحد أمتنا ، ويجمع شملها ويلملم فرقتها ، ويعيدها إلى سالف مجدها ، إلاّ ما وحد أسلافها من قبل .

يقول مصطفى لطفي المنفلوطي ـ رحمه الله ـ « والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهنائها إلاّ إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد ، وإن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر في منبعه ، أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ؛ مادام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله ، ويقولون للأول كما يقولون للثاني جل جلاله : أنت المتصرف في الكائنات ، وأنت سيد الأرضين والسماوات »[١] !!

من أجل هذا ؛ ينبغي أن يكون التوحيد أولاً ، ولابد أن يكون أولاً في كل عصر ومصر ، و « كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس ـ في أي زمان وأي مكان ـ فإنها دعوة قاصرة وناقصة ويخشى أن يكون نصيبها ؛ إما الفشل وإما الانحراف عن الصراط المستقيم ، أو هما معًا ؛ لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين ، متى غفلت عنه الأمم ، وقعت في كارثة الشرك والابتداع»[٢] .

---

(١) النظرات ، مصطفى لطفي المنفلوطي ، ٢/ ٢٦٤ .

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٢٣ .

وبالجملة ، فهذا المنهج ـ بحمد الله تعالى ـ واضح بالقرآن والسنة ، وسير الأنبياء جميعًا ، فلا يحتاج معه إلى نقل أقوال الرجال ، أو الاستدلال عليه بالأدلة ؛ فإنه الأمر الذي بعث الله لأجله الرسل وأنزل الكتب ، وكفى .

**وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل**

## مفهوم البدء بالتوحيد

إننا حينما ننادي بوجوب الدعوة إلى ( التوحيد أولاً ) فإنه لا ينبغي أن يفهم منه أننا ننادي بالدعوة إليه مجرداً فإن هذا شيء ظني ، لا حقيقة له على أرض الواقع ؛ فمن سيدعو إلى التوحيد ، لابد أن يتعرض إلى شيء من مقتضياته ولوازمه المختلفة ، وإلا لم يكن لدعوته معنى .

والأخذ بالأولويات ، لا يعني أخذ الأولى وترك ما سواه ، أو أخذ (الأهم ) وتعطيل ( المهم ) ، فالإسلام دين شامل ، وهو قائم في تكامله وشموليته ، على الأركان والواجبات ، والسنن والمستحبات .

والأنبياء جميعًا إنما دعوتهم قائمة على هذا الأساس : التوحيد أولاً ، بحيث يكون هو المنطلق والأساس والقاعدة التي يبنون عليها بقية تشريعاتهم ، دقيقها وجليلها ، والتي هي من مقتضيات التوحيد بالضرورة .

وسأذكر لذلك أنموذجين ـ فحسب ـ وعليهما فقِس :

* شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . اشتهر قومه بتطفيف الكيل والميزان . ومع ذلك لم يبدأ معهم بهذا المهم ، فليس هذا هو الغرض من بعثته ، وإنما بدأ بالأهم ( الدعوة إلى التوحيد ) فقال تعالى مبينًا حقيقة دعوته : ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [ فبدأ بالتوحيد ، وبما أن من مقتضياته ، الدعوة إلى طاعة هذا الإله الذي يدعوهم إلى توحيده فقد قال ] **وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم**

بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيط ﴾(١) .

* ونبينا محمد ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر عامًا ، يدعو إلىٰ التوحيد ، ويؤصله في نفوس أصحابه ، ولا يتجاوزه إلىٰ غيره ، ولكنه لم يدع إلىٰ توحيد مجرد ؛ بل دعا معه إلىٰ شيء من مقتضياته ولوازمه ، كما جاء في حديث أبىٰ سفيان ـ رضي الله عنه ـ مع هرقل الذي رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حينما سأله عن النبي ﷺ فقال : « **ماذا يأمركم ؟ قال : يقول اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة، والصدق ، والعفاف ، والصلة** ، ... »(٢) .

فبدأ ﷺ بالتوحيد ، وكان من لوازمه ومقتضياته ، الحث علىٰ الصلاة والصدق ، والعفاف ، والصلة ، عبادةً وطاعة ، لمن يدعو إلىٰ توحيده .

وإلا فالمعركة التي خاضها مع قومه ، وعُذب من أجلها ، وقُتل بعض أصحابه ، وشُرد البعض الآخر ، حتىٰ خرج من مكة طريداً شريداً ، لم تكن لأجل دعوتهم إلىٰ الصدق والعفاف والصلة ، وما شابه ذلك فحسب ، وإلا لوجد الكثير من الأتباع والمؤيدين .

ثم إن « قضية ـ لا إله إلا الله ـ ليست حديثًا يذكر لفترة من الوقت ثم ينتقل منه إلىٰ غيره ؛ إنما هي حديث يذكر ثم ينتقل معه إلىٰ غيره . . حديث لا ينقطع في أي وقت من الأوقات »(٣) . ولا يخاطب به الكفار ـ فحسب ـ بل يخاطب به المؤمنون ـ أيضًا ـ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

(١) سورة هود ، آية : ٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ١/ ١٦ ، وانظر : فتح الباري ١/ ٤٢ .

(٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ص ١٨ .

آمنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[1] وذلك لكي يطمئنوا إلى تحقيق توحيدهم وليحذروا النقص فيه أو الخلل.

وعليه، فإن على الدعاة، والمصلحين، من الأفراد، والجماعات، أن يبدؤوا، دائمًا وأبدًا ـ وفى كل الظروف والأحوال ـ بالدعوة إلى التوحيد أولاً، واستفراغ الوسع فيه، مع عدم إغفال شيء من مقتضياته ولوازمه، التي يُبدأ فيها بالأهم فالمهم، على ضوء المشكلات والأمراض التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، على اختلاف بيآتها وتباين قضاياها.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٦.

## وقفة عند الشرك السياسي

إن من أهم وأخطر العلل التي أصابت العمل الإسلامي في مقتل ؛ وكانت السبب الأول في انحراف الدعوة عن طريقها الشرعي : اعتماد كثير من المنتمين إلى الجماعات والحركات الإسلامية في تقرير مناهجهم الدعوية، على استحسانات عاطفية ، وآراء فردية ، فغلبوا جوانب ( مهمه ) وأهملوا جوانب ( أهم ) .

**فاختزلوا أصول الإسلام ، الاعتقادية والعملية والعلمية في قالب ( العمل السياسي ) وجعلوا منه أصل الأصول ، ومسألة المسائل ، وسخروا له كافة الأدلة والمفاهيم والقواعد ، ليجعلوا منه أعظم المقاصد وأهم الغايات .**

**وحشدوا لذلك مئات الكتب الفكرية ، وآلاف الخطب الحماسية ؛ لا ستقطاب شباب الأمة لهذا المنهج ، فأشغلوهم عن العلم والعمل ، والدعوة والتربية ، إلى أمور لم نر من نتائجها إلا تضييع الأوقات والطاقات ، وإهدار الموارد والقدرات ؛ في هذا العمل الذي لم يغير من واقعهم ، ولا من واقع أمتهم شيئًا !!**

**فكان من أهم وأكبر إفرازات هذا الانحراف الدعوى عن الطريق النبوي ، ما يعانيه المسلمون اليوم ، من التخبط العقدي ، والجهل الشرعي ، في جوانب كثيرة ، مما هو معلوم من الدين بالضرورة .**

بل الأدهى والأمرّ ، أن من التزم شرعه ، وسلك نهج نبيه ، ورتب أولوياته الدعوية ، فإنه يجابه بتهمة ( القصور ) تارة ، وعدم ( فقه الواقع ) تارة أخرى ؛ بل ويُرمى بسلفيته التي ـ زعموا ـ أنها تعطل ( شرك الطاعة ) أو كما يسمى عند البعض ( الشرك السياسي ) !! .

ونحن نعوذ بالله أن نكون كذلك ؛ لأننا نقرأ كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وعلىٰ ضوئهما نسير ونعمل ، فنحن لا نفصل ـ معاذ الله ـ بين الدين والدولة ، ولا بين السياسة والشريعة . فإننا نؤمن ونعتقد « أن من حاكم إلىٰ غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد حاكم إلىٰ الطاغوت ، الذي أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين أن يكفروا به »(١) .

ونعلم تمامًا أن « من مظاهر شرك الربوبية الخنوع للحكام غير المسلمين ، والخضوع التام لهم ، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم »(٢) .

**ولكننا ننزل كل أمر منزلته من الدين من حيث الأولوية والأهمية فإن « تقرير شدة بأس نوع من الشرك دون غيره ، أمر عائد إلى الشرع كتابًا وسنة ، وليس إلى العقل ، أو الفكر ، أو الرأي ، أو الهوى ، أو العاطفة ، أو الحماسة »(٣) !! .**

أما أن تأخذنا العاطفة ، والحماسة ، والهوىٰ ، ـ بعيدًا عن تحكيم شرع الله في هذه المسألة ـ ونقرر أن « الحكومة ركن من أركان الإسلام »(٤) !! أو « أن غاية الدين الحقيقية ، إقامة نظام الإمامة الصالحة »(٥) !! أو « أن مسألة القيادة والزعامة ، إنما هي مسألة المسائل في الحياة الإنسانية ، وأصل أصولها »(٦) !! إلىٰ غير ذلك من العبارات التي توهم بأن « الأحكام التي

---

(١) فتح المجيد ، عبد الرحمن بن حسن ص ٤٧٢ .

(٢) عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ص ٧٧ .

(٣) مجلة الأصالة ، عدد ٣ من مقال للشيخ علي حسن عبد الحميد ص ١٩ .

(٤) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص ١٩٠ .

(٥) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، أبو الأعلىٰ المودودي ، ص ١٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٢ .

تتعلق بتنظيم الدولة ، أهم من أحكام العقائد والعبادات »[١] !! .

فإن هذا من الاجتهاد العاطفي ، الذي لا يستند على كتاب أو سنة . . . ولكن يبدو أن ( مصلحة الدعوة ) عندهم ، كما قال عنها سيد قطب ـ رحمه الله ـ : « **صنم يتعبده أصحاب الدعوة ، ينسون معه منهج الدعوة الأصيل** »[٢] !!

وكتب أولئك الدعاة ، تنضح بمثل هذا الفكر ، الذي يقرر ، أن مشكلة الأمة مشكلة سياسية ـ فحسب ـ ولهذا ، لا تكاد تجد كتابًا من كتبهم ، أو مؤتمرًا من مؤتمراتهم ، أو أي لقاء من لقاءاتهم إلا ويدندنون حول هذا الأمر ، ويجعلون منه قضية القضايا ، وغاية الغايات .

وفي مقابل ذلك ، نجد التجاهل التام ، لقضية الشرك ومظاهره ، التي عمت وطمت ، وملأت أصقاع الأرض !!

وفي هذا كله ، انحراف بالدعوة عن طريقها الشرعي . .

وتهميش ـ إن لم يكن تعطيل ـ لقضية القضايا . . قضية توحيد العبادة .

وتضليل لشباب الدعوة ، من خلال إشعارهم ، أن مشكلة الأمة مشكلة سياسية ـ فحسب ـ .

**تنبيه لابد منه :**

إننا حينما نستنكر الإفراط في ( العمل السياسي ) ـ وجر شباب الصحوة إليه ، من خلال إيهامهم أن مشكلة الأمة مشكلة سياسية فحسب ـ ، فإن هذا لايعني أننا نقلل من قيمة ( العمل السياسي ) وأهميته . ولكننا فقط ننكر الغلو فيه ، بحيث يصبح هو الهدف والغاية ، ويعطل ما سواه حتى لو كان

---

(١) انظر : الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، عبد القادر عوده ، ص ٩ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٤/ ٢٤٣٥ .

توحيد العبادة . فإن كل أمر نتعبد الله فيه يجب أن ننزله منزلته الشرعية من حيث الأهمية والأولوية . فلا نبدأ ( بالمهم ) ونجعله غايتنا ، ونهمل ( الأهم ) ونعطله عن دعوتنا .

كما أننا ـ أيضًا ـ لانقصد بالدعوة إلى ( توحيد الألوهية ) التركيز المطلق عليه ، دون الالتفات إلى ( العمل السياسي ) ؛ بل لابد أن يوجد في الأمة من يقوم بذلك ـ حسب ضوابطه الشرعية ـ فهو واجب من الواجبات . **ولكن الموازنة مطلوبة ـ بل واجبة ـ فلا يُربى شباب الأمة على أن يكون هو المقصد والغاية . ولا تُعطى الأولوية الدعوية ( خاصةً في المجتمعات التي هي بأشد الحاجة للتوحيد ) إلى العمل السياسي ، مهما كانت مكتسباته ومعطياته ، فأمتنا لاتعاني من البعد عن تطبيق الشريعة ؛ بقدر ما تعاني مما هو أكبر من ذلك وأخطر ، تعاني : من البعد عن العقيدة ، وكفى بها من مصيبة .**

**والخلاصة** : إن ما ندعو إليه ، ونطالب الاهتمام به هو قضية القضايا ، وأصل الأصول ؛ قضية الدعوة إلى توحيد العبادة ، وتربية الناس عليه ؛ وإن تأثر ذلك الواجب ( العمل السياسي ) بفعل انفضاض الناس عن الجماعة ، ومعاداتها ، لأجل اهتمامها بالدعوة إلى التوحيد ، فلنا في الأنبياء والرسل أسوة حسنة ، فيما حصل لهم من المحن والفتن .

**وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام**

أمّا أن يغفل هذا الأمر ؛ بل ويعطّل ، حتى لا يكاد يعرف لمن ينتسب ، إلى جماعة من تلك الجماعات : لا درسٌ ، ولا محاضرةٌ ، ولا كتابٌ ، ولا شريطٌ ، خاصٌ في الحديث عن هذا الشرك البيّن الذي ابتليت به الأمة ، فهذا ما ننكره ، ونطالب بالرجوع عنه ، والإلتفات إلى التوحيد وتربية الناس عليه ، فإنه الأصل الذي يُبنى عليه كل إصلاح .

## التمكين والاستخلاف .. متى وكيف ؟

لاشك أن تمكين الأمة واستخلافها ؛ أمل منشود ومطلب مقصود ، ولكنه ـ في اعتقادي ـ لن يتحقق من خلال تلك ( **الوسائل** ) التي تقوم عليها تلك الجماعات والحركات ؛ ليس لأن مجرد التفكير بإقامة مشروع دولة إسلامية مع الحفاظ عليها ، أكبر بكثير من إمكانات تلك الجماعات والحركات ، وليس لأن الدول عن بكرة أبيها ستقف بقضها وقضيضها يداً واحدة ، ضد هذه الوسائل بتحجيمها والحد منها والكيد لأفرادها والتنكيل بهم وتشتيت شملهم ومطاردة فلولهم فحسب ؛ بل لأنها وسائل غير شرعية مخالفة لسنن الله في التمكين والاستخلاف .

فالله تعالى وعد ووعده الحق ، وأكد هذا الوعد في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم ، فقال : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾(١) .

وقال : ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(٢) .

وقال : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ** ﴾(٣) .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٣ . سورة الفتح ، آية : ٢٨ . سورة الصف ، آية : ٩ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

وقال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(١) .

وقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾(٢) .

ولكنه شرط ذلك كله ؛ بتحقيق العبادة الخالصة ، القائمة على التوحيد أولاً ﴿ يعبدونني لايشركون بي شيئا ﴾ . فالتمكين في الأرض يستلزم وصفًا سابقاً عليه ، وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، وبعد حصول التوحيد وتحقيقه يكون الاستخلاف والتمكين .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ « لقد تحقق وعد الله مرة ، وظل متحققًا وواقعًا ماقام المسلمون على شرط الله ( يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ) ووعد الله مذخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة ، إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن لتخلف شرط الله »(١) .

فتأمل ـ يا رعاك الله ـ سبب التمكين والاستخلاف ، واعلم أن هذا الشرط لن يتحقق مرة أخرى ؛ إلا عن طريق الوسائل المشروعة القائمة على التربية أولاً وبالذات على العقيدة الصحيحة ، ومحاربة الشرك واجتثاث جذوره ، ولن يتم ذلك بين عشية وضحاها ، إنما يحتاج ـ حسب سنن الله في التغيير ـ إلى زمان قد يطول بمقدار حجم الانحراف الذي تعانية أمتنا .

---

(١) سورة غافر ، آية : ٥١ .

(٢) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/ ٢٥٢٩ ـ ٢٥٣٠ .

ولذا لابد من التربية ثم التربية ـ على منهاج النبوة ـ وعدم استعجال النتائج ، حتى تتشكل الأرضية الصلبة ، التي تقوم الدولة عليها بطبيعتها . فالتمكين إنما هو نتيجة ـ حتمية ـ لتحقيق التوحيد وظهوره ، وقد يكون هذا التمكين ؛ عن طريق شوكة وقوة للمسلمين ، أو عن طريق إقامة خلافة راشدة ، أو ملك صالح ، أو حيث يضعه الله تعالى .

فإذا أعيد تشكيل معتقدات الناس وسلوكياتهم ، حتى يصبحوا على المستوى الفردي موحدين مسلمين ؛ تشكل منهم المجتمع الإسلامي الذي لا يمكن أن يُحكم إلاّ بالإسلام ، فإن من الحقائق المسلّم بها أنه ( كما تكونوا يولى عليكم ) ومن يستقرئ التاريخ ، وسنن الله الجارية في الأمم السابقة ؛ يجد مصداق ذلك ، ويدل عليه قوله تعالى ـ وهو القاعدة ـ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (١) .

ولهذا فإن الشيخ حسن الهضيبي ـ رحمه الله ـ لم يذهب بعيداً حينما قال كلمته المشهورة ، ( أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ، تقم في أرضكم ) ولو أن أصحابه فقهوا معنى هذه الكلمة ، وسلكوا نهج التغيير ، من خلال التربية والتعليم ، لتحقق الخير الكثير للإسلام والمسلمين ، فإن التغيير إذا حصل ظهر ـ لزاماً ـ التمكين . . . والمقدمات إذا صحت أعقبتها النتائج المرجوة بإذن الله .

بهذا ـ وبهذا فقط ـ يحصل التمكين والاستخلاف ، ونعود سادةً للعالم كما كنا من قبل « أما تصعيد النظر إلى القيادة قبل بناء القاعدة المسلمة ؛ فهو انطلاق من فراغ يشابه مسلك الخوارج من وجه ، ونتيجته عمليات حصد

---

(١) سورة الرعد ، آية : ١١ .

لشباب الأمة ، وإفناء للقدرات في زنازن السجون وغياهب القبور ، وليس لهم من أثر إلا كالخط على الماء »[١] .

(١) حكم الانتماء ، بكر أبو زيد ، ص ٨٢ .

## الرجوع إلى الحق فضيلة

رغم التجارب المريرة، والسنين الطويلة، التى مرت بالعمل الإسلامي؛ إلا أن معظم الجماعات والحركات الإسلامية ، لا زالت تعتقد بأن الخلل الذي أصاب أمتنا ، إنما هو بسبب عدم تطبيقها للشريعة ـ فحسب ـ .

وتبعا لهذا فلازالت، كافة الإمكانات، والجهود، والأوقات، والطاقات ، تصرف وتبذل لهذا الهدف وهذه الغاية ، دون أن يكون لها من ذلك مردود إيجابي يوازي تلك التضحيات !!

**وباستمرار الإعراض عن الأمر الجلل الذي من أجله خُلق الخلق ، وأنزلت الكتب، وأرسلت الرسل ، فإن زرع الباطل ـ العقدي ـ ، قد نما وتزايد ولا يزال يتوالد ويتكاثر ، في أرض خلت من الإمكانات والجهود القادرة على حصاده واجتثاثه** (١) .

وهذا ما جعل كثيراً من الدعاة المنتسبين لتلك الحركات ، يعيدون النظر في مثل تلك المناهج التي استبان خللها ووضح قصورها .

ومن هؤلاء الدعاة ، **الأستاذ سيد قطب** ، الذي أدرك جيداً ـ بعد مراجعة ودراسة طويلة ـ أن أمتنا لا تعانى من البعد عن النظام الإسلامي ، وعدم

(١) ولا تخلو الساحة ـ بحمد الله تعالى ـ من جهود الجماعات السلفية التي تقوم دعوتها على تصحيح العقائد أولاً ، كجماعة أنصار السنة في مصر والسودان ، وأهل الحديث في الهند وباكستان ، وجماعة الدعوة إلي الكتاب والسنة في أفغانستان ، وبعض دعاة السنة في الشام والمغرب واليمن وفي كل مكان . إلا أنهم لا يملكون إمكانات وقدرات تلك الجماعات والحركات ، فالانجراف أكبر من إمكاناتهم وقدراتهم ، إلا أنهم مع هذا كله ، ومع شدة غربتهم في أوطانهم ، فإن لهم جهوداً طيبة ، وثماراً واضحة ، ولكنها جهود محدودة وثمار معدودة ، والله المستعان .

تطبيق الشريعة ، بل تعاني من الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية ، يقول ـ رحمه الله ـ : « بعد مراجعة ودراسة طويلة لحركة الإخوان المسلمين ، أصبح في تفكيري ، أن الحركة الإسلامية اليوم ، تواجه حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية ، يوم جاء الإسلام أول مرة (١) ، من ناحية الجهل بالعقيدة الإسلامية وليس فقط البعد عن النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية » (٢) .

**ولهذا فقد لحظ ـ رحمه الله ـ انحراف مسار مثل هذه الحركات نظرًا لكونها « تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية ، بينما المجتمعات ذاتها قد بعدت عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية ، والغيرة عليها ...**

**ولابد إذن ، أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة : وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول ، وتربية من يقبل هذه الدعوة ، وهذه المفهومات الصحيحة ، تربية إسلامية صحيحة ، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية » (٣)(٤) .**

ومن هؤلاء الدعاة الأستاذ / بدوي محمود الشيخ الذي يقول « إذا

---

(١) ونحن لا نوافق سيداً ـ رحمه الله ـ فيما ذهب إليه ، وإن كان قد حصل في الأمة خلل كبير ، واضطراب كثير ، من ناحية الجهل بالعقيدة ، إلا أنها ـ بحمد الله ـ لا تصل إلى مقارنتها بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة .

(٢) لماذا أعدموني ، سيد قطب ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) ورغم مصداقية هذا التحليل الجيد وواقعيته ؛ إلا أننا نتحفظ كثيراً على المنهج الذي سلكه وخطه لغيره ، وخالف فيه منهج أهل السنة والجماعة ونسأل الله تعالى أن يجزيه على ما أصاب ، وأن يغفر له ما أخطأ .

كانت تجارب الماضي القريب والحاضر الشاهد ، قد أعطتنا زخماً من الدروس في مرارة المنازعة والمواجهات الطائشة ، وإذا كانت مصلحة التغيير والدعوة تستدعي إعطاء الفرصة لانتشار أسس الإصلاح وتفعيل وسائل الدعوة الإسلامية والتغيير الاجتماعي ، ومع كون ذلك لن يتأتىٰ إلاّ بإبطال مفعول التوتر مع السلطات ، وتغيير الإستراتيجيات ، ومد جسور الحوار والمناصحة واستفراغ أساليب السياسة الشرعية ، فلماذا إذن نفضّل طريق الانتحار »[١] .

ولهذا يؤكد الداعية الأستاذ / وحيد الدين خان ، علىٰ ضرورة عدم صرف الجهود ( بالكلية ) ، إلىٰ الأمور السياسية التي لم يجن المسلمون من ورائها إلاّ بذل الجهود والأوقات والطاقات بلا طائل ، بينما أثر الدعوة ـ بشتىٰ وسائلها ـ مشاهد محسوس ، وظاهر ملموس . . . وبعد أن ساق لذلك عدة أمثلة ؛ استشهد بقول رئيس جبهة تحرير مورو السيد / نور مسواري ـ الذي خبر السياسة وعانا من كيدها ونفاقها ـ وفيه يستنكر علىٰ كثير من الدعاة إضاعتهم لأرواحهم ، وأموالهم في العمل السياسي بلا جدوىٰ ، بينما هناك ما هو أولىٰ منه وأهم ، فيقول « إنه لا يمكن الحصول علىٰ أي شيء عن طريق السياسة . ولكن ملايين المسلمين يبذلون أرواحهم ، وأموالهم في سائر أنحاء العالم في هذا الصدد . وطريق ( الدعوة ) لازال مفتوحاً يضمن للداعية ( حمر النعم ) ولكن أحداً لا يجد في نفسه الحماس للعمل في هذا المجال »[٢] !!

---

(١) نحو حركة إسلامية راشدة ، بدوي الشيخ ، ص ٨٢ .

(٢) انظر جريدة الرياض ، الجمعة ٢٥/ ١١/ ١٤١٤هـ ، العدد ٩٤٤٧ ص ١٧ ، زاوية خواطر وعبر ، للأستاذ / وحيد الدين خان .

ورغم وضوح هذا المنهج ـ منهج الأنبياء والرسل ـ واعتراف كثير من الدعاة بواقعيته وظهور ثمراته الجليلة ؛ إلا إن معظم الحركات والجماعات الإسلامية ، لا تزال مستمرة في الصدود والإعراض عن توجيهات الغيورين ، ونصائح المخلصين ، بالرغم من تعرض كثير منها ، لسلسلة متلاحقة من المحن الكثيرة ، والظروف العصيبة ؛ التي قدمت خلالها آلاف الضحايا : من تشريد متكرر لمئات الأسر ، واعتقالات متتابعة لأفرادها وأتباعها ، وقتل وتقتيل للمئات من شبابها المتعطش لعز الإسلام ، دون أدنى مردود إيجابي !!

ويشهد على ذلك ـ أيضًا ـ شاهد من أهلها ، خبر تلك الحركات ، وسبر أغوارها وعاش بين جنباتها ، وهو الأستاذ / فتحي يكن ، الذي يقول « منذ ربع قرن والحركة الإسلامية الحديثة ، تعيش محنًا ضاربة ، تقدم فيها الشهيد تلو الشهيد ، وتبذل الثمن غاليًا من وجودها وحياتها ، دون أن يكون لها من ذلك أدنى مردود »[1] !!

ومع مصداقية هذا الكلام وثبوته ، إلا أننا لم نرشيئًا تغير ـ حتى الآن ـ فما زالت تلك الحركات حائدة عن المنهج النبوي ، وباستمرار حيدتها فإن الأخطاء ستتكرر ، والتخبط سيستمر ، والكل سيشكو ، طالما أن الحوار معطل ، والآذان مغلقة أمام كل ناقد أو ناصح .

فإلى الله نشكو ، ضعف التقي ، وجَلَد الحائد .

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية ، فتحي يكن مقدمة الطبعة الثانية ، ص ٧ .

## النقد ... ضرورة لتقويم المسيرة

حينما نقف تلك الوقفات الصريحة ، ونناقش ـ بكل وضوح ـ أهم قضايا العمل الإسلامي ؛ فإنما هو اجتهاد منّا ووجهة نظر ، قصدنا منها المساهمة في ترشيد الصحوة ، وتصحيح المسيرة التي هي أمل الأمة ـ ولاشك ـ ومحل رجائها بعد الله ، وإليها يتطلع كثير من المسلمين ؛ فيرون فيها إصلاح دينهم وإعزاز أمتهم .

ولهذا فإن معظم شباب الصحوة يميلون إليها ويتعاطفون معها ، ويصعب عليهم أي نقد يوجه إليها ، ويرون أن ذلك ينبغي أن يصرف إلىٰ ما هو أولىٰ وأهم ؛ كنقد العلمانيين والماسونيين ، والامبرياليين ، والطغاة المتسلطين الذين يرفضون تحكيم شريعة الله ، ومن يدور في فلكهم من المنحرفين أعداء الدين . . .

**وللرد على سوء الفهم هذا أقول :**

* إن تلك القضايا المذكورة من الأهمية بمكان ، وهي ـ بحمد الله ـ لا تشكو من الإهمال والتفريط ؛ بل تشكو من الإغراق والإفراط ، فمعظم كتب أولئك المفكرين وخطبهم ومؤتمراتهم ، موجهة إلىٰ تلك القضايا . .

وفي المقابل ، لا نجد بينها ما ينبئ بأي قدر من الشجاعة في إنكار الشرك والوثنية والبدعة التي لا يخلو منها مجتمع مسلم خارج الجزيرة ، وهي أولىٰ بالإصلاح وأيسر ، وأقرب صلة بالجمهور الموجهة له .

ثم إنه ليس من الشرع ولا من العقل ، أن ينشغل المسلمون بأخطاء

غيرهم عن أخطائهم . . ولا بالأخطاء التي لا يملكون من أمرها شيئًا عن الأخطاء التي يستطيعون ؛ بل يجب عليهم إصلاحها .

* إن خطأ الدعاة إلىٰ الله أعظم ، وأبعد أثرًا من خطأ الفساق . . فالدعاة إلىٰ الله يُظن بهم ( خطأً أو صوابًا ) أنهم علماء بما يدعون إليه ، ثقات بما يقولون ، قدوات صالحة فيما يعملون . . . وعلىٰ هذا تنتشر أخطاؤهم بانتشارهم ، وينتشر منهجهم بانتشار كتبهم وأفكارهم ، إلىٰ أن ترسخ في القلوب والعقول ، وعندها يصعب كل إصلاح يبذل [١] .

ولذا فإن مسألة « تغشية العيون وإغماضها عن العيوب ، وجعل الأصابع في الآذان وسدها عن سماع النقد ، والإصرار علىٰ السير في ذيل الآخرين ، دون وعي ولا تبصّر ، يُسهل عملية تسخير الشباب الراغبين في الخير العاملين لرفعة الإسلام للسير في طريق آخر ، معاكس »[٢] قد تكون نتائجه وخيمة ، وآثاره خطيرة .

**ولهذا فإن أخشى مانخشاه من السكوت على مثل هذه المناهج ـ التي تتلاعب بعواطف الشباب ، وتدغدغ مشاعرهم ، وتلهب حماسهم ـ أن تجد القبول والتسليم، في ظل انصراف أهل الغيرة عن بيان الصحيح من السقيم ، وهذا باب خطير ، إذا ترك مفتوحًا فسيدخل منه شر مستطير ، وهو ما بدأنا نلمس آثاره ونرى بعضًا من مظاهره .**

**ومن رعى غنمًا في أرض مَسْبعَةٍ ونام عنها تولى رعيها الأسد**

ومن يتأمل اليوم أحوال شباب الصحوة ؛ فإنه يجد أن كثيراً منهم قد انصرف عن العلم الشرعي ، ومعرفة أصول أهل السنة ، إلىٰ كتب فكرية لا

(١) انظر : حقيقة الدعوة إلىٰ الله ، سعد الحصين ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) من أين يبدأ الإصلاح ، محمد ماضي ص ١٠٦ .

يعتمد كثيرٌ منها على منهج السلف ـ رضوان الله عليهم ـ فتأثر بمثل هذه الأفكار « ناشئة طيبة تحكمها العواطف ، والرغبة في الخير وعز الإسلام ، مع قلة البضاعة في العلم الشرعي ، وضعفٍ في الفقة والدين ، وجهل بأصول السلف ، ومناهجهم ، وهديهم وآثارهم ، وصار أكثر القرّاء يقرأون ما عُرض لهم مما هبّ ودبّ »(١) ، وكنتيجة طبعية لهذا الخلط فقد أصبح معظم أولئك القّراء يغض الطرف عن العلل والأخطاء ، ويرفض مبدأ النقد ـ أيًا كان هذا النقد ـ طالمًا أنه موجه لأي جماعة تربى على أفكار كُتّابها ومنظريها ، وإن فعل ـ الناقد ـ وطالب بالتصحيح والرجوع إلى الكتاب والسنة واستلهام المنهج منهما على ضوء فهم سلفنا ، فإنه ـ في نظرهم ـ مغرض يسعى إلى الفتنة والفرقة !!

أولا يعلم أولئك الغيورون ، أن المطالبة بالسكوت على الانحرافات والأخطاء في تلك المناهج يعني ببساطة : إقرارها على ما هي عليه من الانحراف المنهجي ، والتخبط الدعوي ، وإطالة عمر الفرقة والاختلاف ، والتحزبات والتكتلات ، التي فرقّت شباب الأمة وجعلتهم أحزابًا وشيعًا ، يستضعف بعضهم بعضًا .

فيا ليت شعري ، متى يعقل الغافلون ، ويعلمون ـ أيضًا ـ أن السكوت على تلك الانحرافات والأخطاء لا معنى له ، سوى استمرار تخبط كثير من شباب الصحوة، ببذل أرواحَهم ومُهجهم، في أمور يظنونها منتهى التضحية والفداء من أجل هذا الدين ؛ بينما هي منتهى التهور الذي لا طائل للمسلمين من ورائه .

---

(١) مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع د. ناصر العقل ص ١١ .

**فمتى يُبصّر أولئك الشباب بخطورة الطريق الذي يسلكونه ، ومتى تُوظف جهودهم وطاقاتهم للدعوة الصحيحة إذا سكت أهل الحق عن بيان الصحيح من السقيم .**

أين فقه من يزعم الغيرة ، على هذه الجماعات ، ـ التي جانبت منهج الأنبياء ـ من فقه إمام أهل السنة ، أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فعندما سُئل : « **الرجل يصوم ، ويصلي ، ويعتكف ، أحب إليك ، أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام ، وصلى ، واعتكف ، فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع ، فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل** »(١) .

وعليه فإن من فساد النظر : الاعتقاد بأن عملية النقد والمناصحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دعوة إلى الفرقة والفتنة ، فإن كل جماعة تخشى من الحوار وتخاف من المناصحة وتعتقد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيهدد كيانها ، جماعة لاتستحق البقاء ، ولا يوثق بها ، ولا تستأهل حمل رسالة الإسلام ، التي من أولى متطلباتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ففاقد الشيء لا يعطيه(٢) !!

وإذا كان المصلحون سيواجهون بمثل هذه التهم كلما سعوا إلى النصيحة والتقويم ، فمتى يصحح الخطأ ، ويوجه المسار ، ويُبيَّن المنهج الشرعي الدعوي لشباب الأمة ، وأجيالها اللاحقة !!!

أوَلا يعلم الذين يخشون النقد ويخافونه ، أن هذا يعني تراكم الأخطاء وزيادتها .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/ ٢٣١ .

(٢) انظر : نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنه ، ص ٣٦ .

أين هم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذي كان يعتبر النقد وسيلة مهمة لتجاوز الأخطاء، والبحث عن الكمال؛ فكان يناشد المؤمنين ـ **ومن على المنبر** ـ أن يبصروه بعيوبه « **أنشدكم الله ، لا يعلم أحد منى عيبًا إلا عابة** »(١) .

وأين هم عنه حينما قال مبينًا أهمية النقد وضرورة الأخذ به « **لا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها** »(٢) .

. . . بهذا المفهوم الواسع تعالج العيوب ، ويكمل النقص ، ونتجاوز الاخطاء ، وتستقيم المسيرة ، **ويظهر الحق ، وتقوم الحجة ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾**(٣) .

**تنبيه :**

إننا حينما نؤكد هذا المفهوم الواسع للنقد والتقويم ، فما ذاك إلاَّ لأنه ظاهرة صحية، ووسيلة مهمة، لتبصير شباب الأمة بمظاهر العلل والقصور، التي حلت بالعمل الإسلامي ، وأصابته في مقتل ، ليقف أولئك الشباب ، على تلك السبل ، التي تفرقت بهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه أنبياء الله ورسله في الدعوة والتغيير .

وحينما نقوم بذلك ، فإننا نؤكد أن حديثنا ؛ إنما هو منصب على مناقشة المناهج والأفكار ـ فحسب ـ أما الدعاة كأفراد ، فلا ينبغي أن يفهم من مناقشتنا لمناهجهم ، أننا نناصبهم العداء ، أو أننا نقف مع أعدائهم ـ أعداء

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ص ١٥٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .
(٣) سورة الأنفال ، آية : ٤٢ .

الدين ـ من الطغاة والعلمانيين في خندق واحد ضدهم ، أو أننا نفرح بما يحصل لهم من المآسي والمحن ـ فمعاذ الله أن نكون كذلك ـ فنحن نحبهم في الله بقدر قربهم من منهج الله ، **ولكن إذا وصلت الحال إلى حربهم أو التنكيل بهم لأجل دينهم ، فإن الله تعالى قد أوجب علينا ـ حينئذ ـ حق النصرة إذا استنصرونا ، فهم إخواننا في الدين ـ على كل حال ـ ويحملون همه ويعملون لأجله ، وضحى معظمهم بماله وعمله ، بل وقدم كثير منهم دمه رخيصًا في سبيل رفعة هذا الدين وإعزازه ، وهذا كله لايمنع من نقد مناهجهم والتحذير منها .**

**متى يُرفض النقد ؟**

يُرفض النقد ، إذا قُصِدَ به التشهير ، أو التشفي ، أو تصيد الأخطاء والعثرات .

ونرفضه ، إذا كان يؤدي بنا إلىٰ دفن الحسنات الكثيرة ، بالسيئات القليلة ، فالماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث .

ونرفضه ـ أيضًا ـ ، إذا كان باعثه الهوىٰ والحسد وتأليب السلطات علىٰ الدعاة . ونرده كذلك إذا كان دافعه شهوة التصنيف والتجريح ؛ بلاضابط شرعي أو دليل علمي [1] .

نعم إننا نرفضه إذا لم يحقق مصلحة للدعوة . . . ونأمله ونطلبه إذا كان فيه مصلحة للأمة .

---

(١) انظر في هذا الكتاب القيم ( تصنيف الناس بين الظن واليقين ) للعلاّمه بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ فهو جدير بالاطلاع والقراءة .

# طـريق الرشـــاد

# منهـج أهـل السـنة والجماعـة

## لماذا منهج أهل السنة والجماعة ؟

لايخفى ـ على ذي بصيرة ـ أن ( أهل السنة والجماعة ) لقب يدعيه كثير من الفرق الضالة ، والحركات المنحرفة ، ولا يضيرنا هذا ؛ فهو اسم شرعي استعمله علماء السلف وأئمتهم في كتبهم ومصنفاتهم .

وكون معظم الفرق والحركات المنحرفة ، تنسب نفسها لهذا المنهج ، فإن هذه دعوى ، وكل دعوى تحتاج إلى دليل وبرهان .

**والدعاوى إذا لم يكن عليها بينات أصحابها أدعياء**

وكما قيل :

**وكل يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك**

فمن وافق منهم الكتاب والسنة ، وعلى ضوء فهم السلف لهما ، فهو منتم إليهم ، وإلا فلا عبرة بالقول إذا كان الواقع يخالفه .

**وأهل السنة والجماعة : هم الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، فاتباعهم هُدى ، وخلافهم ضلال** (١) .

ومن مرادفات أهل السنة والجماعة : أهل الأثر . . . وأهل الحديث . . . والطائفة المنصورة . . والسلف الصالح وبها اشتهر كل من انتسب إليهم ، وسار على نهجهم ، واقتفى أثرهم .

ومنهجهم ـ اليوم ـ يتبوأ بحمد الله تعالى ، المكانة العظمى ، والحظوة

---

(١) انظر : العقيدة الطحاوية ، بتحقيق أحمد شاكر ، ص ٣٣٠ .

الكبرىٰ ، عند قطاع عريض من شباب الصحوة الإسلامية ، وذلك من خلال ما أحدثته ، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ من أثر بالغ ، وصدىً طيب واسع .

ولهذا ، فإن معظم الجماعات الإسلامية ، تنسب نفسها إلىٰ منهج السلف وتظهر تأثرها بدعوة الشيخ ابن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ « ولا يخفىٰ ما في نسبة هذه الحركات المنحرفة إلىٰ دعوة الشيخ وتأثرها بها من خطورة بالغة . وإصرار كثير من أتباع هذه الحركات والجماعات علىٰ التمسح بالدعوة السلفية ليس إلاّ محاولة منهم لإخفاء انحرافاتهم وضلالاتهم ، سواء كان ذلك في الوسائل أو في المنهج ومحاولة منهم لجذب شباب الصحوة الذين يتشوقون إلىٰ العودة إلىٰ منهج السلف الصالح .

وإن إطلاق القول بتأثر كثير من الدعوات والجماعات ، بدعوة الشيخ دون دليل حقيقي ؛ ليعطي هذه الدعوات المنحرفة شرعية وسمعة ليست جديرة بها ، ومبرراً لاستمرار ها علىٰ ماهي عليه من التواء وانحراف ، بالإضافة إلىٰ ما في ذلك من تلبيس علىٰ الناس ، وخداع لهم ، وتغرير بهم ، وليس في ذلك أي فائدة للدعوة السلفية ؛ بل علىٰ العكس من ذلك حيث تفقد أصالتها ويضعف تميزها »[1] .

وإلاّ فكيف ينتمي لأهل السنة من يؤول صفات الله ، ويقول علىٰ الله بغير علم ، ويقع فيما حذر منه السلف من تقديم العقل علىٰ كلام الله وكلام

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، علي بن بخيت الزهراني ، ص ١٠٠٠ ـ ١٠٠١ .

رسوله ﷺ في صفات الله والقَدَر وسائر أمور الغيب ؟!

* وكيف ينتسب لأهل السنة من يرىٰ أن الطرق الصوفية المبتدعة منهج مناسب للدعوة ؟!

* والعجب كل العجب . . . أن يدعي الانتساب لأهل السنة من الدعاة من يدافع عن البدع أو يروج لها أو يرضىٰ بها ، أو يرىٰ أن أمرها يسير ، وأنها ليست من مسائل الدين المهمة ، مثل بدع الموالد ، والاحتفالات الدينية البدعية ، وأين هذا من عقيدة السلف .

* والأدهىٰ من ذلك ، أن يوجد من الدعاة الكبار الذين ينتمون إلىٰ حركات إسلامية مشهورة ؛ من يتمسح بالقبور والأولياء من الأموات والأحياء ، ويطلب منهم كشف الضر ، وجلب النفع ، ويلجأ إليهم في السراء والضراء !

* وكيف يدّعي رفع شعار أهل السنة من يتصدر للدعوة وهو لا يعرف عقيدة السلف ، وربما سئل أحدهم عن بدهيات العقيدة فلا يجيب ، وإن أجاب خلط !

* وهل يكون من أهل السنة من لم يكف لسانه ولا قلمه عن التعرض بالنقيصة واللمز أو السباب ، لبعض الصحابة والتابعين وأئمة الهدىٰ المعتبرين وسلف الأمة الماضيين ، خاصة علماء السنة والحديث ؟!

* وهناك ـ مع كل أسف ـ من كبار الدعاة أو ممن يزعمون أنهم دعاة مَن يؤخر صلاة الفريضة عن وقتها دون ضرورة ، أو لا يهتم بصلاة الجماعة ، أو يستحل أكل الربا ، أو يستحل سماع الأغاني والموسيقىٰ ، أو يقتني

الصور المجسمة ، أو يدخن ، ومنهم من يحلق لحيته أو يتشبه بالكفار في لباسه ومظهره ، وسائر تصرفاته المعاشية ، ومنهم من لا يهتم بالحجاب الشرعي للنساء ، أو يقر الاختلاط المحرم ويرضى به . إلخ من الأمور التي تخل بالدين ، أو تجرح العدالة ، أو تنافي الفضيلة ، ولا تقبل ممن يتصدر الدعوة ويكون قدوة .

* وهل يجدر أن ينسب لأهل السنة والجماعة من لا يجعل من أهدافه وأهداف دعوته ، تعلم وتعليم عقيدة أهل السنة ورفع لوائها والدعوة إليها والدفاع عنها ؟! لأنها هي المنهج السليم والصحيح للإسلام .

* بل وكيف يكون من أهل السنة من يجعل من أهدافه تحاشي التظاهر باعتقاد أصول أهل السنة ، وتحاشي الرد على الفرق المخالفة ، وبدع المبتدعين بدعوى تفادي إثارة الخلافات بين المسلمين ؟!

* ومن الدعاة من يسعى إلى جمع المسلمين على غير كلمة سواء ؛ إنما على ما افترقوا به من اختلاف المعتقدات والضلالات والبدع ، كحاطب ليل[١] !

* ومنهم من يستهين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومناصحة ولاة الأمور ، ويزعم أن هذا من القشور والتوافه[٢] . .

---

(١) لاشك أن جمع كلمة المسلمين هدف عظيم ؛ بل هو من أعظم أصول الدين ، ولا ينكره إلاّ ضال أو جاهل ولكن جمع كلمة المسلمين يجب أن يكون على الحق ، وعلى الكتاب والسنة ، والاعتصام بحبل الله ، لا على مجرد الشعارات الفارغة من الاعتقاد الحق .

(٢) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية منها ، د . ناصر العقل ، ص ٥١ ـ ٥٣ .

إلى غير ذلك من الأمور التي خالف فيها أولئك الدعاة وتلك الجماعات، منهج أهل السنة والجماعة ؛ الذي ليس لأحد ـ كائنًا من كان ـ خيار في قبوله أو رد شيء منه ؛ كيف وهو منهج الفرقة الناجية ؛ التي قال عنها الرسول ﷺ : « **تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا واحدة ، قيل ما هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي** »(١) .

وهو **منهج الطائفة المنصورة** التي قال عنها المصطفى ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(٢) .

فلا سبيل لتوحيد الكلمة والمنهج إلا باتباعه ، والانضواء تحت لوائه . .

ولا سبيل لإخراج المسلمين من وهدتهم التي ارتكسوا فيها إلا من خلاله . . .

ولا سبيل لقيام الدولة الإسلامية إلا به . .

**هذا هو السبيل ولا سبيل سواه .**

فالواجب على كل مسلم، وكل داعية، وكل جماعة دعوية، أن يهتدوا بهدي سلفهم ، وأن يستلهموا مناهجهم ـ عقيدةً وفقهًا ودعوة ـ من معينه الصافي الذي لا ينضب ، فالالتزام به ضرورة لسلامة الطريق من النقص والهوى والزلل والخطأ .

ومن يستقرئ الأدلة كتابًا وسنة ، يجد حقيقة ما ذكرنا ، وصدق ما أجملنا .

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ، وغيره عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ٩/ ١٢٥ ، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٢٣ .

وإليك البيان على ذلك بالدليل والبرهان :

**من القرآن الكريم :**

قول الله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (٢) .

فوعد مُتبعهم بالجنة والرضوان .

ووعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم .

**ومن السنة :**

ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته** » (٣) .

فشهد لهم ﷺ بالخيرية والأفضلية .

وفي حديث العرباض بن سارية الطويل ، قال ﷺ : « . . **فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين ، المهديين من بعدي ، فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل**

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١١٥ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٥/ ١٩٩ ، وصحيح مسلم ٧/ ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ومسند أحمد ١/ ٣٧٨ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ، وانظر السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٢٠ برقم ( ٧٠٠ ) .

**محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** »(١) .

فأمر النبي ﷺ أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين ، وذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق ، كما جاء في وصف الفرقة الناجية ، في حديث الافتراق ـ السابق ـ قول النبي ﷺ : « **ما أنا عليه وأصحابي** »(٢) .

فمتبعهم إذن ، يكون من الفرقة الناجية ، ومخالفهم يكون من أهل الوعيد .

**من أقوال السلف :**

ما قاله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « **اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم** »(٣) .

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « من كان متأسيًا ؛ فليتأسَ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالاً . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ؛ فإنهم كانوا على الهدىٰ المستقيم »(٤)(٥) .

---

(١) انظر المسند ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ ، والدارمي في سننه ١/ ٤٤ ، وقال الألباني حديث صحيح ، انظر : السلسلة ٤/ ٣٦١ .

(٢) سبق تخرجه ، ص ١٧٣ .

(٣) انظر المسند ٢/ ١١٠ ، وابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص ١٣ .

(٤) انظر : ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤٧ ، والاعتصام للشاطبي ٢/ ٨٥٢ ، والعقيدة الطحاوية ص ٣٣١ .

(٥) انظر ، لزوم وجوب الجماعة وترك التفرق ، جمال شيربادي ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

وروىٰ الدارمي عن محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ أنه قال : « كانوا يرون أنهم علىٰ الطريق ماداموا علىٰ الأثر »(١) .

ويقول الإمام الأوزاعي ـ وما أجمل ما يقول ـ : « عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول »(٢) .

وعنه ـ أيضًا ـ أنه قال « اصبر نفسك علىٰ السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عمّا كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ماوسعهم »(٣) .

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ « إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل ، وحادوا عن الطريق ، فتركوا الآثار ، وقالوا في الدين برأيهم ، فضلوا وأضلوا »(٤) .

**فدع عنك آراء الرجال وقولهم  فقول رسول الله أزكى وأشرح**

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة ـ الاتباع لا الابتداع ـ عقيدةً وفقهًا ودعوةً ـ ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾(٥) .

يقول العلاّمة عبد الرحمن بن قاسم ـ رحمه الله ـ في حاشيته :

---

(١) انظر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٨٣ ، وانظر اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٩٨ .

(٢) انظر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضلة ٢/ ١٠٧١ .

(٣) انظر : اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٤ .

(٤) الاعتصام ، الشاطبي ٢/ ٨٤٨ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .

« لابد في الدعوة إلى الله من شرطين :

* أن تكون خالصة لوجه الله .

* وأن تكون على وفق سنة رسول الله ﷺ .

فإن أخل بالأول كان مشركًا ، وإن أخل بالثاني كان مبتدعًا »(١) .

ولهذا فإن الله تعالى لم يترك منهج الدعوة للعباد ، يبدون فيه آراءهم وأفكارهم ؛ بل أوضحه تعالى أيما إيضاح فقال : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾(٢) . وهذه الآية لا تحتاج إلى كبير تأمل فهي « آية صريحة في أن للنبي ﷺ منهجًا في الدعوة ، وسبيلاً يسير عليه كل مسلم يريد النجاة له ولغيره من المسلمين »(٣) .

ولهذا يقول الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيره لهذه الآية : « قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة ، والأوثان ، والانتهاء إلى طاعة الله ، وترك معصيته ( **سبيلي** ) ، وطريقتي ، ودعوتي ، أدعو إلى الله وحده ، لا شريك له ( **على بصيرة** ) بذلك ويقين .

**ويدعو إليه على بصيرة ـ أيضًا ـ من اتبعني ، وصدقني ، وآمن بي** »(٤) .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ تعليقًا على هذه الآية : « **لا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه** »(٥) .

---

(١) حاشية كتاب التوحيد ، ابن قاسم ، ص ٥٥ . (٢) سورة يوسف ، آية : ١٠٨ .

(٣) لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ، عبد الله صالح العبيلان ص ٤٤ .

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري : ١٦/ ٢٩١ .

(٥) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم : ١/ ٢٠٨ .

وقد مر معنا ـ بما لا يحتاج معه إلى زيادة إيضاح ـ أن دعوته ﷺ ، ودعوة إخوانه من الأنبياء والرسل ؛ إنما هي قائمة في أهدافها وغاياتها ومناهجها على « قاعدتين عظيمتين ، وأصلين كبيرين : ـ

الأولى : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّه ﴾ .

الثانية : ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت ﴾ (١) .

**وكل دعوة لا ترتكز في غاياتها وأهدافها ومناهجها على هذين الأصلين فهي مخالفة لنهج المرسلين ، وناقصة ، لا تؤتي ثمارها المرجوة** » (٢) .

وعليه ، فإنّ **هذا المنهج :**

**لا مجال للاجتهاد فيه ، فهو منهج ثابت ، لا يتغير ولا يتبدل على اختلاف الزمان ، والمكان ، والظروف ، والأشخاص .**

فحقائقه راسخة ، ومضمونه ثابت ، وكل من تنازل عن شيء منه ؛ لمصلحة يتوهمها ، أو لدنيا يصيبها ؛ فقد خان الأمانة ، ونقض العهد ، وباء بسخط من الله ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّه ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٢) مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د. ناصر العقل ص ٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٧٩ .

**ومن حقائق هذا المنهج الذي لا يتغير ولا يتبدل :**

بيان التوحيد بأقسامه، والشرك بأنواعه، وبيان علاقة الحاكم بالمحكوم، والتأكيد على ذلك بالأدلة الشرعية والضوابط العلمية ، وبيان صفات الذين يحبهم الله ، وصفات الذين يبغضهم الله ، وبيان الحلال والحرام ، والمعروف والمنكر ، وبيان ما يقره الإسلام وما يبطله ، في حياة الأفراد والأمة : العقدية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والسلوكية ، والاقتصادية . . إلخ .

وقبل أن يدعو الناس إلى ذلك ويربيهم عليه ؛ لابد من تصفية ماعلق بشيء منه من البدع والشركيات .

**ويبدأ دعوته وتربيته ، بالأولويات التي بدأ بها أنبياء الله ورسله ، فيبدأ بالعقيدة أولاً ، ويعطيها الجانب الأكبر ، والاهتمام الأعظم ، ويسخر لها كافة جهوده وإمكاناته ويوازن بين بقية الجوانب الدعوية الأخرى ، فيبدأ بالأهم قبل المهم .**

ويكون قصده في ذلك كله وجه الله ؛ فلا يداهن ، أو يفاوض أو يساوم، أو يؤجل أو يعطل شيئًا من ذلك .

فهو مطالب بالصدع بالأمر ، والجهر بالحق ، والقيام بالواجب ، والصبر على ما قد يعترضه من محن وإحن فله في رُسل الله وأنبيائه أسوة حسنة .

والداعية في سلوك هذا المنهج ، ليس مجتهداً ، ولا مبتدعًا ، وإنما هو ملتزم بما ورد في الكتاب والسنة ، ومقتديًا بإمام الدعاة نبينا ورسولنا محمد

ﷺ (١) .

**ومن هذه الحقائق ـ أيضًا ـ الحرص على وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين على الحق ، وهو أصل عظيمٌ ؛ من أهم أصول الدين ، التي يجب أن يتحرّاها العلماء والدعاة** ، فأهل السنة والجماعة ، لم يسموا كذلك ؛ إلاّ لحرصهم على اجتماع الكلمة ووحدة الصف « ولكن لايلزم من وجوب اتحاد المسلمين ، وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله ؛ ألاّ ينكروا المنكر على من فعله أو اعتقده ؛ بل مقتضى الأمر بالاعتصام بحبل الله أن يأتمروا بالمعروف ويتناهو عن المنكر ويبينوا الحق لمن ضل عنه أو ظن ضده صوابًا بالأدلة الشرعية ، حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه ، وهذا هو مقتضى قوله سبحانه : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾(٢) وقوله سبحانه : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (٣) ومتى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين ، وأغلاط الغالطين ، لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعلوم ما يترتب على ذلك من بقاء الغالط على غلطه والمخالف على خطئه » (٤) .

---

(١) انظر ( الدعوة بين الأسلوب والمضمون ) لصلاح الخالدي ، مجلة البيان ٤/ ٥٣ ـ ٦٠ (بتصرف كبير) .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ .

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعه ، سماحة الوالد عبدالعزيز بن باز ٤/ ٦٩ .

وينبغي أن يضبط هذا كله ، بمنهج أهل السنة في الرد على المخالف ، فالتوازن مطلوب ، وأدب الخلاف يجب أن يسود ، وما لم تتسع صدور الدعاة والمصلحين للخلاف ، بحثًا عن الحق والإصلاح ؛ فإن التنازع والتهارش سيستمر والنتيجة الحتمية لذلك ؛ الفشل وذهاب الريح ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ (١) .

وهذا هو الداء الخطير والشر المستطير ، الذي يضرب في وحدة العمل الإسلامي ، ويفرق شبابه ودعاته شذر مذر (٢) .

وهذا مايدعونا بإلحاح ، إلى ضرورة توحيد الجهود ، وتقويم تلك المناهج المحدثة ، والعودة بها إلى منهج أهل السنة والجماعة ، فهو المنهج الحق ، الذي يصحح الانحراف ، ويعالج العيوب ، ويوحد الجهود ، وإلاّ فإن العواقب ستكون وخيمة ، والآثار ستصبح خطيرة ، وأخشى مانخشاه في حال عزل منهج أهل السنة والجماعة ، عن واقع الدعوة ومشكلات الأمة ، أن يحصل لنا ماحصل لغيرنا ؛ فحينما نُحي هذا المنهج ، وأُسقط دور العلماء الربانيين في حفظه والدعوة إليه « ... **اتخذ الناس رؤساء جُهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا** » (٣) . فأفرز ذلك كله سلبيات كثيرة ، ومشكلات خطيرة ، من أهمها :

١ ـ الاختلاف والتفرق والتحزب .

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

(٢) ويعظم الأمر ويكبر ، إذا كان هذا التحارش والتنازع ، بين أبناء المنهج الواحد ، وفي هذا تقويض للدعوة ، وفتنة لشباب الأمة !!! .

(٣) جزء من حديث رواه عبد الله بن عمرو ، انظر صحيح البخاري ، كتاب العلم ١/ ٩٨ .

٢ ـ سوء الأدب مع العلماء وتصيد زلاتهم .

٣ ـ تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام .

٤ ـ استباحة البدع والوسائل غير الشرعية في سبيل تحقيق الهدف .

٥ ـ ضيق العطن وقلة الصبر واستعجال النتائج في أمر الدعوة وغيرها مما يبعث روح اليأس والتشاؤم والتصرفات المتشنجة .

٦ ـ شيوع ظاهرة التكفير والتبديع ، بلا ضابط شرعي ، أو مستند علمي .

٧ ـ هيمنة نزعة الخروج على أذهان بعض الجهّال من الشباب المتحمس .

٨ ـ سرعة الاستجابة للفتن والتصرفات الغوغائية .

٩ ـ نزعة العنف واستعمال القوة بما في ذلك اللجوء إلى الأعمال غير المشروعة في سبيل النكاية بالمخالف فحسب[١] .

إلى غير ذلك من العواقب الوخيمة ، التي قد لا يدركها إلاّ من تأمل واقع بعض الدول المجاورة ، وما حصل فيها بسبب ذلك من ضرب الصحوة، وتغيير المناهج ، وتجفيف المنابع ، والمتضرر الأول من ذلك هم أبناء المسلمين وأجيالهم اللاحقة .

ولهذا أقول ـ والحق أقول ـ إنه لاعز لنا ولا نجاح لدعوتنا ؛ إلاّ بمد الحبال ـ التي وهت وتقطعت ـ بمنهج أهل السنة والجماعة في الدعوة والتغيير ، فهو

---

(١) انظر : من قضايا الصحوة ، د. ناصر العقل ، ص ٩٧ ـ ١٠٥ . وانظر الخوارج ، للدكتور ناصر العقل ـ أيضاً ـ ص ١٤٣ ـ ١٥٠ .

صمام الأمان من الانحرافات والفتن ؛ فثمراته يانعة وآثاره واضحة .

ولابد أيضًا من مد الجسور ـ التي تداعت وتهدمت ـ مع العلماء الربانيين، وتوثيق الصلة بهم ، فهم الذين نطقوا بالقرآن ونطق بهم ، وهم ورثة الأنبياء الذين ينفون عن الدين تأويل الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فهم سمع الأمة وبصرها ، والنور الذي تهتدي به ، فكل تجديد بدونهم هدم وتخريب ، وكل حركة أو دعوة بعيدة عنهم ؛ إنما هي انتفاضة مصروع ، أو تشنج مبطون ، فلابد أن يكون العلماء للأمة أئمة ، يقودونها إلىٰ الهدىٰ ويجنبونها الردىٰ (١) .

وويل « للأمة إذا ضيعت علماءها وسارت بعيدًا عنهم ، أو أطاعت فيهم أهل الأغراض والريب ، أو رجعت إلىٰ غيرهم من رؤساء جهّال ، أو جعلت أعراضهم غرضًا للشائعات ، أو سلكت معهم مسالك الرافضة من عصمة وتقديس ، أو سبيل الخوارج من جرح وتكفير واستهانة وتصغير » (٢) .

من أجل هذا كله ، يجب علينا ـ لزامًا ـ أن نعرف للعلماء حقهم ومكانتهم ، وضرورة الرجوع إليهم ، وتوثيق صلة الدعاة بهم ، وإحياء ولائهم لهم . . . لتستقيم المسيرة ، وتزول الشبهة ، وينجلي الحق .

**والخلاصة** . . . ، أن منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة والتغيير ،

---

(١) حتىٰ لانسقط في الفتنة . . . أحمد سلام ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ( بتصرف )

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

قائم على البناء السليم المتوازن ، الذي يعتمد على الأسس العلمية التالية :

١ ـ المنهج الصحيح ( الدعوة إلى الإسلام المصفى وتطبيقه ، وتربية الناس عليه . . . الاتباع . . . مراعاة الأولويات . . . إلخ )

٢ ـ الطاعة لولاة الأمر ـ بالمعروف ـ .

٣ ـ التسليم للقيادة العلمية .

هذا هو المنهج ؛ وبه قامت الأمة أولاً ، ولن تقوم مرة أخرى إلاّ بسلوكه واتباعه ، وقد عبّر الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عنه بعبارة موجزة فقال : « **لن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها** »(١) .

وهي عبارة تكتب بمداد من الذهب ، وتستحق أن يجعلها الدعاة إلى الله ، والسائرون في طريقه ؛ نصب أعينهم ، حيثما توجهوا وأينما ساروا ، أمّا من غلب عليه الجهل والهوى ، وأعجب برأيه فلا حيلة فيه ، ويُخشى أن يوقع نفسه وشباب الصحوة معه في أمور لا يعلم عواقبها إلاّ الله .

**فهـذا الحـق ليس به خفـاء فدعني من بُنَـيّات الطـريق**

---

(١) انظر : الشفاء للقاضي عياض ، ٢/ ٦٧٦ .

## بين المنهج والوسيلة

وقبل أن أختم هذا المبحث ، أعرج على قضية مهمة ، طالما كانت محط الخلاف ، وبسببها دار الصراع بين كثير من الدعاة : وهي الخلط بين منهج الدعوة ووسيلتها ، فأقول بإيجاز : أن المنهج يختلف عن الوسيلة :

**فالمنهج :**

قواعد وأصول ( **ثابتة** ) تقوم عليها الدعوة ، لا تتغير ولا تتبدل في أي مكان أو زمان .

**أما الوسائل :**

فهي مسائل اجتهادية ( **متغيرة** ) تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فإذا لم تقصد لذاتها ولم تخالف الشريعة في شيء من جوانبها ؛ فهي مباحة [١] ، فينبغي الاستفادة منها واستثمارها ؛ لنواكب العصر الذي نعيشه ، ونستثمر إمكاناته ومعطياته ، لنشر دعوتنا ورفع الجهل عن أمتنا ، فإن « من القواعد المقررة : ( أن الوسائل لها أحكام المقاصد ) فوسائل المشروع مشروعة ، ووسائل غير المشروع غير مشروعة ، بل وسائل المحرم حرام ، والخير إذا كان وسيلة للشر كان شراً ممنوعًا ، واستمع إلى الله عز وجل يقول : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [٢] . وسب آلهة المشركين ليس عدواً بل حق وفي محله ، ولكن سب رب العالمين عدو

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، محمد بن صالح العثيمين ، ص ١٦١ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٠٨ .

وفي غير محله ، وعدوان وظلم ، ولهذا لما كان سب آلهة المشركين سببًا مفضيًا إلى سب الله ، كان محرمًا ممنوعًا ، وسقت هذا دليلاً على أن الوسائل لها أحكام المقاصد »[١] .

(١) الابداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، محمد بن صالح العثيمين ، ص ١٨ ـ ١٩ .
وانظر : رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة ، عبدالرحمن بن سعدي ، ص ٢٥ .

## وقفة للتأمل

**أخي المسلم :**

إن العقلاء من البشر هم فقط من يتحرون الحق ، ويبحثون عن الصواب في كل طريق يسلكونه وفي كل منهج يتبعونه وهو ـ بحمد الله ـ بيّن أبلج ، فقد تركنا ﷺ على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك ، وقد بين سبحانه وتعالى أن عدم تحري هذا الحق ، وعدم الالتفات إليه هو السبب الأول في إعراض أكثر المعرضين ، قال تعالى : ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُون** ﴾ (١) .

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره لهذه الآية « وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه ، وإنما ذلك لإعراضهم عنه . وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات لتبين لهم الحق من الباطل تبيناً واضحاً جلياً » (٢) .

**وقد عد النبي ﷺ رد الحق وعدم قبوله ـ إذا تبين ـ من الكبر ، الذي هو أشنع الخصال وأردأ الأفعال** (٣) .

فتدبر ـ يا رعاك الله ـ النصوص الكريمة ، والآثار الكثيرة ، وتحرر من الهوى والتعصب ، وتجرد للحق بإخلاص ، واتعظ بغيرك من الذين أخطأوا الطريق ثم تابوا ورجعوا إلى الحق واعترفوا بذلك ، وكن من هذه الطائفة

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٢٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ابن سعدي : ٥/ ٢٢٢ .

(٣) انظر وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ، جمال الشيربادي ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

التي قال عنها الرسول ﷺ « **لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس** » (١) .

ولا تغتر بكثرة من يخالفك ، فإن أهل الحق بإزاء أهل الباطل قلة ، وهذه سنة الله في خلقه . « **فعليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول** » (٢) .

واعلم ـ أخي ـ أنه لا يكفي القول بحب السلف واتباعهم والانتساب إليهم ، ثم ندافع عن المناهج التي تخالفهم وننتصر لها ، أو نُشّنع على من يذبّ عنهم وعن منهجهم .

ولكي تكون متبعاً لهم ، قولاً وعملاً ، حقاً وصدقاً « فلابد من :

١ ـ حب السلف ، والذود عنهم وعن منهجهم .

٢ ـ فهم المنهج ، أي منهج أهل السنة والجماعة .

٣ ـ الالتزام بمنهج السلف خلقاً ودعوة وسلوكاً وقولاً وفعلاً .

وأي إخلال بواحد من هذه الأسس ، يعتبر إخلالاً بانتساب الفرد إلى السلف » (٣) .

وأخيراً . . . إذا عرفت فالزم .

**لعمري لقد نبهت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان**

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم الحديث ٣٥٤٨ .

(٢) جامع بيان العلم وفضلة ، ابن عبد البر ٢/ ١٠٧١ .

(٣) الحكمة ، ناصر السليمان ، ص ٥٩ .

# الخـاتمـة

وبعـد :

فـهـذه الرِسـالة ، إنما هي مـجرد صـرخـة من مـسلم مكلوم ، يعتـصـر ألماً وحرقة علىٰ واقـع أمته ، ومدىٰ ما تعـانيه في معظم مجتمعاتها من البعد عن الدين الصحيح ـ فحسب ـ فهي ليست دعوة للفرقة ، كما أنها ليست دعوة إلىٰ نبـذ العـمل الجماعي ( الشـرعي ) ، **بقدر ماهي دعوة إلى تصحيح المسار ، وتصـفيتـه مما علق به من الشـوائب والأفكار ، التي لو عـرضت على منهج أهل السنة والجمـاعة ، لخـرج منها الكثير مما هو مـسلّم به ، عند قطاع لا يستـهان به من شـباب الأمة ..**

ومن ينظر إلىٰ واقع أمتنا ـ اليـوم ـ ومـا آل إليه أمـرها من الذل والتـخلف والتبعية . . يدرك جيداً خطورة الأمر وفداحة الخطب ، **وهذا الواقع ، يكشف بصورة جلية ، وجود خلل واضطراب ، في المسيرة والنتائج .**

ولذا فإن مسألة ، تغيير المجتمعات الإسلامية ، التي تئن ـ ولا زالت ـ تحت وطأة البعد عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، مسألة ليست هينة ، ولا ثانوية ، ولا هي مـسألة هامشية يكفي لحلها شيء من الاجتـهاد الممزوج بالعواطف ، والحماس لهذا الدين .

إنما هي مـسـألة تحـتـاج ـ بالدرجـة الأولىٰ ـ إلىٰ تصـفـيـة تلك المناهج الدعـوية ، مما علق بهـا من آراء الرجـال وأفكارهـم ، التي شـطحت بتلك الجماعات إلىٰ أمور جزئية ، لم تغير من واقع الأمة شيئاً ، فصار حالهم

كمن يعالج الجسم والرأس مقطوع ، فضيعت ـ بهذا ـ جهود شباب الأمة ، وأهدرت مواردهم ، وطاقاتهم ، وقدراتهم ، في أمور كان ينبغي ـ بل يجب ـ أن تستثمر فيما هو أولىٰ وأهم .

وهذا ما دفعني للمشاركة في هذه الرسالة ؛ التي أعوذ بالله أن أكون قد قصدت بها تتبع العثرات والزلات ، أو السقطات والهفوات ؛ فقد أعرضت عن الكثير من هذا .

**وإنما قصدت لفت الأنظار ، إلى مدى حاجة المجتمعات الإسلامية إلى التوحيد ، تلك الغاية المنشودة ، والدرة المفقودة في مسيرة العمل الإسلامي .**

**﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب ﴾** (١) .

وأستغفر الله ، إن صحب هذا شيء من الزلل ، أو الخشونة غير المقصودة ، وإن حصل شيء من هذا فلأن « المؤمن للمؤمن ـ كما يقول شيخ الإسلامي ابن تيميه ـ كاليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ ، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ، ما نحمد معه ذلك التخشين » (٢) بإذن الله .

وأخيراً . . . فإننا إزاء هذا الواقع الأليم ، الذي تمر به أمتنا ، لا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة ، إلىٰ المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، أن يهيء لهذه الأمة قائداً ربانياً ، يقودها إلىٰ ما فيه فلاحها وصلاحها ، ويأخذ بيدها إلىٰ بر

---

(١) سورة هود ، آية : ٨٨ .

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية : ٢٨/ ٥٣ ـ ٥٤ .

الأمان والإيمان .

ونسأله تعالىٰ أن يجنب هذه المسيرة الزلل والانحراف ، وأن يعيدها إلىٰ كتاب ربها ، وسنة نبيها ، علىٰ ضوء فهم سلفها ﴿ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

ونصلي ونسلم علىٰ قدوتنا وخير دعاتنا ، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وعلىٰ آل بيته الأطهار ، وصحبه الأخيار ، ومن سلك نهجهم ، واقتفىٰ أثرهم ، ودعا بدعوتهم إلىٰ يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

**عبد العزيز بن عبدالله الحُسيني**

ص . ب ٨٥٥٨٥

الرمز البريدي : ١١٦١٢ الرياض

---

(١) سورة الروم ، آية : ٤ـ٥ .

# فهرس المراجع

١ ـ الابداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ، العلامة محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن ، ط الأولىٰ ١٤١٠هـ .

٢ ـ إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، ط الأولىٰ ١٤٠٦هـ .

٣ ـ الحياة الأدبية في جزيرة العرب ، مكتبة النشر العربي بدمشق ، ط الأولىٰ ١٣٥٤هـ .

٤ ـ الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، أبو الأعلىٰ المودودي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٠٢هـ .

٥ ـ الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، عبدالقادر عوده ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٤هـ.

٦ ـ الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط الثانية .

٧ ـ الإسلاميون وسراب الديمقراطية ، عبدالغني محمد الرحّال ، دار المؤتمن، ط الأولىٰ ١٤١٣هـ ، بدون .

٨ ـ الأصول العلمية للدعوة السلفية، عبدالرحمن عبدالخالق ، دار العلم بمصر ، والدار السلفية بالكويت .

٩ ـ أصول مذهب الإمام أحمد ، د . عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط الثالثة ، ١٤١٠هـ .

١٠ ـ الاعتصام ، للشاطبي ، تحقيق سليم الهلالي ، دار ابن عفان ، ط

الثانية ١٤١٤هـ .

١١ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد فقي ، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون .

١٢ ـ إلى التصوف ياعباد الله ، ابو بكر جابر الجزائري ، مطبعة المدني ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .

١٣ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ، علي بن بخيت الزهراني ، دار الرسالة للنشر والتوزيع ، مكة ، بدون .

١٤ ـ البداية والنهاية ، ابن كثير ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤٠٥هـ .

١٥ ـ بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة ، محمد حامد الناصر ، مكتبة السوادي ، جدة ط الأولى ١٤١٦هـ .

١٦ ـ البدع والنهي عنها ، محمد بن وضاح القرطبي ، دار البصائر ، ط الثانية ١٤٠٠هـ .

١٧ ـ تربيتنا الروحية ، سعيد حوّى ، دار الكتب العربية ، ط الأولى ١٣٩٩هـ .

١٨ ـ التجانيه ، علي بن محمد الدخيل الله ، دار طيبة ، بدون .

١٩ ـ تصنيف الناس بين الظن واليقين ، بكر أبو زيد ، دار العاصمة ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٢٠ ـ التصوف بين الحق والخلق ، محمد فهر شقفه ، الدار السلفية ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ .

٢١ ـ تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل القرآن ) ابو بكر محمد بن جرير

الطبري ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر ، بدون .

٢٢ ـ التفسير الكبير ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٣ ـ تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لوح ، دار الهجرة ، ط الأولى ١٤١٦هـ .

٢٤ ـ تقويم المسيرة الإسلامية ، د . عمر بن سليمان الأشقر ، دار الفتح ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٥ ـ تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية ١٣٦٨هـ .

٢٦ ـ تهذيب مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، تهذيب عبدالمنعم العزي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة .

٢٧ ـ التوسل بالأولياء ، عبداللطيف السيد علي سالم ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

٢٨ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، ابن سعدي ، بتحقيق محمد زهري النجار ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤هـ .

٢٩ ـ جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبدالبر ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٣٠ ـ جريدة الرياض العدد ٩٤٤٧ ، الجمعة ٢٥/ ١١/ ١٤١٤هـ .

٣١ ـ الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، سليم الهلالي وزياد الدبيج ، ط الثانيه ١٤٠١هـ

٣٢ ـ حاشية كتاب التوحيد ، العلامة عبدالرحمن بن قاسم ، ط الثالثة

١٤٠٨هـ .

٣٣ ـ حتى لا نسقط في الفتنة ، نظرات في أزمة الحوار المعاصر عند أهل السنة والجماعة ، أحمد سلام ، دار الأرقم ، بريطانيا ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٣٤ ـ حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب ، سعد بن عبدالرحمن الحصّين ، دار السلام ، ط الثانية ١٤١٣هـ .

٣٥ ـ حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ، بكر أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، ط الثانية ١٤١٠هـ .

٣٦ ـ حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد ، محمد بن سلطان الحنفي ، تحقيق د . محمد بن عبدالرحمن الخميِّس ، دار العاصمة ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٣٧ ـ الحكمة ، د. ناصر السليمان ، دار الوطن ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

٣٨ ـ الحماسة السنية في الرد على بعض الصوفية ، حسن عبدالرحمن البحيري ، تحقيق د. محمد بن عبدالرحمن الخميِّس ، دار العاصمة ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٣٩ ـ الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ، محمد أحمد حامد خير ، دار المأمون ، ط الثانية ١٤٠٧هـ

٤٠ ـ خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية ، عبدالرحمن عبدالخالق ، الدار السلفية ، ط الثانية ١٤٠٦هـ .

٤١ ـ الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن ، ط الأولى ١٤١٦هـ .

٤٢ ـ الداء والدواء ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق يوسف علي بدوي ، دار التراث ، ط الرابعة ١٤١٢هـ .

٤٣ ـ درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى ١٤٠١هـ .

٤٤ ـ ذكريات لا مذكرات ، عمر التلمساني ، دار الاعتصام ، ط الأولى ١٩٨٥م .

٤٥ ـ رسائل إلى الإمام الشافعي ، د. سيد عويس ، دار الشايع ، ط الثانية ١٩٨٧م .

٤٦ ـ الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ، الشوكاني ، دار الكتب العلمية ، ط ١٣٤٨هـ .

٤٧ ـ رسالة الشرك ومظاهره ، مبارك محمد الميلي ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة ، ط الثالثة ١٤١٢هـ .

٤٨ ـ رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة ، ابن سعدي ( ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي ) ، مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة ، ط ١٤١١هـ .

٤٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، ط الثانية .

٥٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٣٩٩هـ .

٥١ ـ السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، موفق بني المرجه ،

مؤسسة صقر الخليج ١٩٨٤م .

٥٢ ـ سنن أبي داود ، أبو داود السجستاني ، دار الحديث ، حمص ، ط الأولى ١٣٩٣هـ .

٥٣ ـ سنن الدارمي ، محمد بن عبدالله الدارمي ، دار الكتب العلمية ، بدون .

٥٤ ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون .

٥٥ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الإمام اللالكائي ، تحقيق د . أحمد بن سعد الغامدي ، دار طيبة ، ط الثالثة ١٤١٥هـ .

٥٦ ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الكتاب العربي ، بدون .

٥٧ ـ شهر في دمشق ، عبدالله بن محمد بن خميس ، مطابع الرياض ١٣٧٥هـ .

٥٨ ـ شهيد المحراب ، عمر التلمساني ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، بدون .

٥٩ ـ الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، محمد بن صالح العثيمين ، إعداد وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز ، دار المجد ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

٦٠ ـ صحيح البخاري للإمام البخاري ، دار ومطابع الشعب ، بدون .

٦١ ـ صحيح الجامع الصغير ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٣٩٩هـ .

٦٢ ـ صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .

٦٣ ـ صحيح مسلم ، الإمام مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٠هـ .

٦٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، ط الثانية ١٣٩٢هـ .

٦٥ ـ الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده وطارق عبدالحليم ، مكتبة الكوثر ، ط الثانية ١٤١٢هـ .

٦٦ ـ الصوفية الوجه الآخر ، مدارسة مع د. جميل غازي ، إعداد عبدالمنعم الجداوي ، إصدار المركز العام لدعاة التوحيد والسنة ، القاهرة .

٦٧ ـ الطبقات الكبرى ، عبدالوهاب الشعراني ، ط ١٣٧٤هـ .

٦٨ ـ الطريق إلى الجماعة الأم ، عثمان عبدالسلام نوح ، دار المنار ، ط الثانية ١٤١٢هـ .

٦٩ ـ العالم الإسلامي هموم وآمال ، محمد إبراهيم التويجري ، دار الأصالة ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

٧٠ ـ العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية ، عبدالرحمن عبدالخالق ، دار العلم بمصر والدار السلفية بالكويت ، ط الثانية ١٤٠٣هـ .

٧١ ـ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، أبو العز الحنفي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون .

٧٢ ـ عقيدة المؤمن ، أبو بكر جابر الجزائري ، دار الكتب السلفية ١٤٠٥هـ .

٧٣ ـ عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط الخامسة ١٤٠٥هـ .

٧٤ ـ فتاوىٰ الإمام محمد رشيد رضا ، جمع وتحقيق د. صلاح الدين المنجد ويوسف خوري ، دار الكتاب الجديد بيروت ، ط الأولىٰ ١٣٩٠هـ .

٧٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، ط الثانية ١٤٠٠هـ .

٧٦ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق محمد حامد فقي ، دار الفكر ١٤١٢هـ .

٧٧ ـ الفقية والمتفقه ، أبو بكر الخطيب ، تعليق إسماعيل الأنصاري ، مطابع القصيم ١٣٨٩هـ .

٧٨ ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبدالرحمن عبدالخالق ، دار الحرمين ، ط الرابعة ١٤١٠هـ .

٧٩ ـ الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر ، عبدالعزيز محمد القشعمي ، رسالة ماجستير صادرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة بالرياض . ( غير مطبوع ) .

٨٠ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار العلم ، ط الثانية عشر ١٤٠٦هـ .

٨١ ـ في قافلة الأخوان المسلمون ، عباس السيسي ، دار الطباعة والنشر والصوتيات ، ط الأولىٰ ١٤٠٨هـ .

٨٢ ـ في منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة ، أحمد سلام دار بن حزم ، ط الثانية ١٤١١هـ .

٨٣ ـ الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، ط الرابعة ١٤٠٣هـ .

٨٤ ـ كتب حذر منها العلماء ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، تقديم

الشيخ بكر عبدالله أبو زيد ، دار الصميعي ، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ .

٨٥ ـ كشف الشبهات ، محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة ١٣٩٨هـ .

٨٦ ـ الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود عبدالرؤوف القاسم ، المكتبة الإسلامية ، ط الثانية ١٤١٣هـ .

٨٧ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ، ابن رجب ، تحقيق بدر البدر ، دار النفائس ١٤١٤هـ .

٨٨ ـ كيف اهتديت إلىٰ التوحيد والصراط المستقيم ، محمد جميل زينو ، دار الصميعي ، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ .

٨٩ ـ كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد ، د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، ط الأولىٰ ١٤١٢هـ .

٩٠ ـ كيف نستقبل العام الجديد ، عبدالله الجلالي ( شريط كاسيت ) .

٩١ ـ كيف نفهم التوحيد ، محمد أحمد باشميل ، دار الصميعي ، ط الثالثة ١٤١٢هـ .

٩٢ ـ لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ، عبدالله الصالح العبيلان ، دار الوصل ، ط الأولىٰ ١٤١٣هـ .

٩٣ ـ ما أنا عليه وأصحابي ، أحمد سلام ، دار ابن حزم ، ط الأولىٰ ١٤١٥هـ .

٩٤ ـ الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات ، الشمس السلفي الأفغاني ، مكتبة الصديق ، ط الأولىٰ ١٤١٣هـ .

٩٥ ـ لماذا أعدموني ، سيد قطب ، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ،

ط الخامسة .

٩٦ ـ لماذا اغتيل حسن البنا ، عبدالمتعال الجبري ، دار الاعتصام ، ط الأولىٰ .

٩٧ ـ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ، د . ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الوطن ، ط الأولىٰ .

٩٨ ـ مجلة الأصالة ، جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية ، بيروت .

٩٩ مجلة البيان ، المنتدىٰ الإسلامي ، لندن .

١٠٠ ـ مجلة الصراط المستقيم ، State Collage , pa 16803.u s. a. .

١٠١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ الهيثمي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ١٤٠٦هـ .

١٠٢ ـ مجمل أصول أهل السنة والجماعة ، د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الوطن ، ط الأولىٰ ١٤١١هـ .

١٠٣ ـ مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب العلاّمة عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، أشرف علىٰ طباعتها الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

١٠٤ ـ مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، مكتبة المعارف ، ١٤١٣هـ .

١٠٥ ـ مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، دار الدعوة ١٤١١هـ

١٠٦ ـ مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة ، محمد إبراهيم شقرة ، المكتب الإسلامي ، ط الأولىٰ ١٤٠٠هـ .

١٠٧ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٣٩٨هـ.

١٠٨ ـ مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ.

١٠٩ ـ معالم في الطريق ، سيد قطب ، الإتحاد الإسلامي العالمي ، ط الرابعة ١٩٨٥م .

١١٠ ـ المعجم الكبير ، الطبراني ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، مطبعة الوطن العربي ، ط الأولىٰ ١٤٠٠هـ .

١١١ ـ مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط الأولىٰ ١٤٠٧هـ .

١١٢ ـ مفتاح دار السعادة ، ابن قيم الجوزيه ، تحقيق محمد بيومي ، مكتبة الأوس بالمدينة .

١١٣ ـ مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة ، د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الوطن .

١١٤ ـ مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الوطن ، ط الأولىٰ ١٤١٤هـ .

١١٥ ـ الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ، عمر التلمساني ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .

١١٦ ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ، تحقيق د. زينب القاروط ، دار الكتب العلمية ، ط الثالثة ١٤٠٧هـ .

١١٧ ـ من أين يبدأ الإصلاح ، محمد إبراهيم ماضي ، دار البشير ، ط الأولىٰ ١٤١٢هـ .

١١٨ ـ من قضايا الصحوة ، د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار المسلم ، ط الأولى ١٤١٦هـ .

١١٩ ـ الموسوعة الحركية ، إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية ، بإشراف فتحي يكن ، ط الثانية ١٤٠٣هـ .

١٢٠ ـ الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٦هـ .

١٢١ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط الثانية ١٤٠٩هـ .

١٢٢ ـ موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية ، عز الدين ابراهيم ، ط سبهر ، طهران ، ط الثانية ١٤٠١هـ .

١٢٣ ـ نحو حركة اسلامية راشدة ، بدوي محمود الشيخ ، مكتبة وهبة ، ط الأولى ١٤١٤هـ .

١٢٤ ـ النظرات ، مصطفى لطفي المنفلوطي ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ .

١٢٥ ـ النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي ، بقلم تلميذه الشيخ عمر بن أحمد المدخلي ، المطابع العالمية ، ١٤١٦هـ .

١٢٦ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، الإمام الشوكاني ، دار الحديث . بدون .

١٢٧ ـ واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، ط الثانية ١٤٠٨هـ .

١٢٨ ـ وجوب توحيد الله عز وجل ، الإمام الشوكاني ، تحقيق محمد المدخلي ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

١٢٩ ـ وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ، جمال أحمد الشيربادي ، دار الوطن ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

١٣٠ ـ وقفات مع جماعة التبليغ ، نزار إبراهيم الجربوع ، بدون .

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| مقدمة فضيلة الشيخ : ناصر بن عبدالكريم العقل | ٥ |
| المقدمة | ٧ |
| مدخل . . . حال العرب قبل الرسالة | ١٣ |
| وحالهم بعدها | ١٤ |
| **واقع الأمة من ناحية بعدها عن العقيدة وحاجتها الماسة إلى التوحيد** | ١٧ |
| بداية الانحطاط وواقع الأمة اليوم | ١٩ |
| لمحة موجزة عن الصوفية وخطورتها | ٢٥ |
| تلبيس إبليس على الصوفية في صحة معتقدهم | ٢٧ |
| دور الصوفية في إفساد عقائد كثير من المسلمين | ٢٩ |
| نماذج من كرامات ومكاشفات الصوفية المزعومة | ٣٥ |
| صدق أو لا تصدق !!! | ٤٤ |
| انتشار الصوفية في العالم الإسلامي | ٤٩ |
| رسائل إلى الإمام الشافعي | ٥٩ |
| الشرك . . . بين الأمس واليوم | ٦٣ |
| آثار الفكر الصوفي | ٦٩ |
| دمعة على الإسلام | ٧٣ |
| تألم الشوكاني على هذا الواقع | ٧٥ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|

سبب انتشار الشرك في العالم الإسلامي ..... ٧٧
**حتى لا نُخادع أنفسنا ... ( واقع الأمة ... وواقع العمل الإسلامي )** ..... ٨٣
واقع الأمة ..... ٨٥
العمل الإسلامي وطريق الإنقاذ ..... ٨٩
قل هو من عند أنفسكم ..... ٨٩
أهم العوامل التي أثرت في مسيرة العمل الإسلامي ..... ٩٣
إهمال العلم الشرعي ..... ٩٣
الاختلاف والتفرق ..... ٩٤
التحزب والانغلاق ..... ٩٥
أين الخلل ؟ ..... ٩٦
**جماعة التلبيغ ومثال لغياب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع الأمة** ..... ٩٩
كلمة حق ..... ٩
وقفات حول منهج الجماعة ..... ١٠٠
تساؤلات حول منهج الجماعة ..... ١٠٣
تنبيه لابد منه ..... ١٠٥
**جماعة الأخوان ومثال آخر لغياب التصور الصحيح لمعالجة أوضاع الأمة** ..... ١٠٧
كلمة حق ..... ١٠٩
وقفات حول منهج الجماعة ..... ١١٠
تساؤلات حول منهج الجماعة ..... ١١٣
الآثار المترتبة على فشل هذا المنهج ..... ١١٤

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|

**نحو ترشيد المسيرة (وقفات ومناقشات لأهم قضايا العمل الإسلامي)** ١١٧
مصلحة الدعوة بين الشرع والعقل ١١٩
فقه الأولويات ١٢٧
التوحيد أولاً ١٣٩
مفهوم البدء بالتوحيد ١٤٥
وقفة عند الشرك السياسي ١٤٩
تنبيه لابد منه ١٥١
التمكين والاستخلاف . . . متى وكيف ؟ ١٥٣
الرجوع إلى الحق فضيلة ١٥٧
النقد . . . ضرورة لتقويم المسيرة ١٦١
تنبيه لابد منه ١٦٥
متى يرفض النقد ١٦٦
**سبيل الرشاد : ( منهج أهل السنة والجماعة )** ١٦٧
لماذا منهج أهل السنة والجماعة ؟ ١٦٩
بين المنهج والوسيلة ١٨٥
وقفة للتأمل ١٨٧
الخاتمة ١٨٩
فهرس المراجع ١٩٣
فهرس الموضوعات ٢٠٦